مجلة البيان مكتبة
شبكة مشكاة الإسلامية
هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان – العدد 14 ، صفر 1409 ، أكتوبر 1988م

الافتتاحية

لابد من ملء الفراغ

كلما فكرت في حقيقة أن سبعين سنة مـن محـاربة العـقـائد الدينية بكل الأساليب لم يُقْضَ عليها ، ولم تغيبها في التراب - كما قدر أعـداء الـعـقـائـد الدينية - ازدادت ثقتي بالحق الذي أحمله ، وكان ذلك برهاناً على قصر النظرة البشريـة الـتـي تحدثـها أوهامها أحياناً بأنها تعلم كل شيء ، وتريد أن تزيل من أمامها كل ما يعوقـهـا عن تـحـقـيـق مـا قـصـرت نظرتها وعلمها عليه.

أما هذه المعركة المشار إليها فهي التي وقعت - ولا تزال - بـيـن الـشيوعية والأديان.

إن الشيوعية استخدمت كل الوسائل : المادية والمـعنويـة من أجل القـضـاء عـلـى "أفـيـون الشعوب" ولكن هل نجحت ؟!

هل نجحت في القضاء على المسيحية - مع أن المسيحية لا تهتم إلا بالجانب الروحي من الحياة، تاركة الجانب المادي لقيصر - ولئن عجزت الشيوعية عن القضاء على المسيحية، فهي عن أن تقضي على الإسلام - الذي هو في حقيقته دين شمولي لشأن الدنيا والآخرة معاً - أعجز.

ليس من شأننا الحديث عن معاداة الشيوعية للأديان في روسيا ! ، ولكن نريد أن نتخذ من ذلك دلـيـلاً عـلـى عبـثـيـة المحاولات الـتـي تـبـذل من أجل المحو أو التحريف والتشويه للحقائق التي تؤمن بها الشعوب.

***

لا شك أن هناك حملة قوية من أغلب الفئات النافـذة بدأت منذ نهاية القـرن التاسع عشـر وبداية هذا القرن هدفها تقليل التأثير الإسلامي في بنية الشعوب الإسلامية ، وإبعاده شيئاً فشيئاً عن جميع النواحي المهمة في الحياة وخاصة الثقافية منها والتشريعية والاقتصادية.

ومع أن هذه الفئات قد حققت كثيراً مما كانت تتطلع إليه ، لكن الهدف النهائي - وهو تخفيف قبضة العقيدة الإسلامية ، وترويض حدة الشعور الديني - لم يتحقق منه شيء ، ولا تبدو في الأفق بوادر تشير إلى ذلك ، بل إن المشاهَد أن الشعور الإسلامي في تـصـاعـد ، والاعتقاد بأن الكوارث المحيطة والمتربصة ليست إلا بسبب انفصام عرى العقيدة الإسلامية مـن بعـض الـنفـوس ، وأنه لا مخـرج من هـذا الـواقع المـتـأزم إلا بعقد سلام بين الشعوب وتاريخها المغتصَب ، والاعتراف بأن المجتمع لن يكون محـصـناً ولا قـوياً وهو منشق على نفسه ، يتبرأ جانب من جانب ، ويطارد قـاهـر مقـهـوراً ؛ لأن دوامة الـزمن مستـمـرة في الدوران ، وغداً سيكون المَوْتور واتراً ، وهكذا...

***

إننا إذا تناولنا جانباً من جوانب التـجـاهـل والإهمال الذي يلقاه الإسلام في دياره - وهو الجانب الثقافي - سيبدو لنا التأزم والعبث بأوضح صورة.

هذه خطط ، وتلك مناهج وضعت لتنشئة أجيال لتكون قادرة على الوقوف على قدميها في عالم عاصف بالأفكار ، والذين وضعوا ذلك وصـلـوا - برجاحة عقولهم ، وغزارة علمهم ، وقبل ذلك كله بحرارة إخلاصهم لأوطانـهـم وغِنـى عواطفهم نحو أبـنـاء قومهم ! - إلى أن الإسلام شأنه شأن الأديان كلها ، لا يمثل إلا زاويـة روحـية يكفـي أن يقدم الحديث عنه للأجيال ضمن هذه الـزاويـة : تعلـيـم لبعض العبادات ، وحديث عن الـتـوبة والمـغـفـرة ، والذكر ومراسم الدفن، وبعض مكارم الأخلاق مثل الرحمة والرفق بالحيوان، وأشياء أخرى لا تخرج عن هذا الإطار الفقير. ويستطيع أن يقوم بتقديم هذا الجانب أي فـرد - عـالم أو جاهل - مؤمن بما يقول أو جاحد. والقصد من هذا الاختصار واضح لكل ذي نظـر ، وهـو ليس القناعة حتى بهذه الأشياء المقدمة ، بل الإجابة على تساؤل الذين يتساءلون بإلحاح : أين مكان الدين من تربية الأجيال ؟.

تريدون ديناً ؟! ، لا مانع ، خذوا هذا الدين ! هذا هو الإسلام !

أما إذا لم يشفِ هذا الجواب العملي النفوس التي تحترق وتململت تطـلـب إجـابـة أشـفـى "كان الصراخ لها قرع الظنابيب" (1).
نريد أن ننظر إلى واقعنا على ضوء هذا الذي يجري فيه ، فعندما لا يقـتـنـع المسلم أن ما يقدَّم لأبنائه هو الإسلام ، فإنه يفتش عن بديل آخر لهذا ، كأن يلقن أبناءه الإسلام الذي يؤمن به والذي يراه مخالفاً - في اتساعه وشموله ، بل في أحكامه العملية - لهذا الإسلام المسكين المستكين الراكد العاجز الذي تحدثه عنه أجهزة الثقافة وأقنية الفكر.
وإذا افترضنا أن من الآباء من لا يبالون : أدرس أبناؤهم إسلاماً وقرآناً أم درسوا غير ذلك ؟! فإن من الآباء كذلك من يشعر بالمسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتقه ، ومن يعتقد اعتقاداً لا يتزعزع أن الله سائله كيف ربى ولده ، وهو لذلك يرى أن الأمر جد لا هزل فيه. وحتى أولئك الآباء غير المبالين ، عندما يشب أبناؤهم عن الطوق ، ويقـارنـون مـا لـقـنـوا بما هو موجود في الكتب الإسلامية المبذولة بأعداد هائلة ، وبنسب تفوق كل أنواع الكتب الأخرى ؛ فإن كثيراً من هؤلاء الأبناء يراجعون ما لقنوا ، ويكتشفون الـزيف الكثـير في ذلك ، فإما أن يرفضوه جملة ، وإما أن يشكوا فيه ، وهما أمران ينتج عنهما انفصام في الشخصيات ، وتمزق داخلي ينعكس على تصرفاتهم وأعمالهم ، وبدلاً من أن يكونـوا خلايـا منـتجـة في جسم المجتمع يؤول أمرهم إلى أن يكونوا خلايا مشلولة لا أثر لها ، أو مـريـضـة تـنفـث التوتر والضعف في بنية الأمة.
وتبقى هناك فئة تمضي في البحث عن الحقيقة المغيبة بنفسها ، فإما أن تنجح في العـثـور عـلـيـهـا وإمـا أن تفـشـل، وهي في حالتـي نجاحهـا وفشلها لا تحقق لمجتمعها شيئاً على المستوى العام ؛ لأن نجاحها فيما نجحت فيه لا يحسـب لهـا ، بـل علـيـهـا ، لأنه غير معترف به من قبل الذين رسموا وخططوا ، وفشلها يتخذ ذريعة لتـثبـيـت الـبـاطـل الـذي حاولت خارج إطاره ، ولاستمرار الزيف الذي لم يطفئ فيها التحرق للبحث عن الحق.

إن كبرى الأزمات التي نعاني منها مردها إلى هذه الحال التلفيقية التي نعيش فيها : تتجاور فينا المتناقضات ، ونعيش في أجواء يسودها التنافر والـتـمـزق ؛ فـالـكـفـر الـصُّرَاح بجانب نصف الكفر بجانب الإسلام وأجزاء الإسلام ! والعبودية ونصف العبودية بجانب الحرية وما هو فوق الحرية من الطغيان والجبروت ، والعـروبة بجـانب دعـوى الـعـروبـة والشعوبية السافرة، والفساد المرخص له بجانب المساجد ودور العبادة ، والقوانين الحديثة المكتوبة ، بـجـانب القوانـيـن السرية النافذة : قوانين العشائر والفئات والطوائف. وهيكل الدولة الحديثة الذي تسري فيه روح الغرائز وتسود فيه شريعة الغاب...

خلط وتلفيق وحلول وسط تعكس نفـوسـاً خـربـهـا الـنفـاق وفـتك بها الهوان فلم تعد تعرف معروفاً ، ولا تنكر منكراً.

الحرج من هذا الواقع المرير مرهون بأن نقف أمام أنفسنا وقفة صادقة ، وأن نعترف بسبب المشكلة أولاً ، وهو هنا عدم وجود دليل واضح ومنهج أصيل تسـيـر علـى هـدْيـه الأجيال الإسلامية ، ثم الانفصال بين مفهومين للإسلام في أذهان هذه الأجيال : مفهوم تقدمه فئة غير مقتنعة بالإسلام ولا تبالي بأي واد هلك ، إسلام مقطع الأوصال ، مشوه القـسـمـات ؛ ومفهوم آخر تبحث عنه هذه الجموع المتعطشة التي فقدت ثقتها بـكل شـيء ، وانـهـارت أمام عيونها كل المناهج المستوردة والمفروضة ، وهي في خلال بـحـثـهـا عنه تلاقي الجفاء والمقت ، وتعاني من الإنكار والجحود.

وما لم يكن هناك اعتراف بهذه الحقيقة فإن جهودنا أفراداً وجـمـاعـات ستـذهب سدى ، وسنبقى حيث نحن ، هدر للطاقات ، وتضحية بالكفاءات ، ومطاردة دائمة... حتى يأتي يوم نفقد فيه الطِّراد حيث نفقد الطرائد.

الهوامش :

1- شطر بيت لسلامة بن جندل وصدره : إنا إذا ما أتانا صارخ فزع ...

والصارخ : المستغيث ، والصراخ : الإغاثة. والظنابيب : جمع ظُنبوب ، وهو ظاهر الساق. ويمكن أن يستعار هذا المعنى للدلالة على الرد بعنف على الاحتجاج.

قضايا فقهية

الرد على من أباح الفوائد الربوية

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

جـاءنا من سـمـاحة الشـيخ عـبد العزيز بن عبد الله بن باز المقال التالي الذي يرد فيه على شبهات من يجيز الفوائد الربوية والمعاملات البنكية المتعلقة بها.

الحمد لله ، والـصـلاة والـسـلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد :

فقد اطلعت على البحث الذي أعده الدكتور إبراهيم بن عبد الله الناصر تحت عنوان: "مـوقـف الـشـريعة الإسلامية من المصارف"، فألفيته قد حاول فيه تحليل ما حرم الله من الربا بأساليب ملتوية، وحجج واهية، وشبه داحضة، ورأيـت أن من الـواجب على مثلي بيان بطلان ما تضمنه هذا البحث، ومـخـالـفـته لما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة من تحريم المعاملات الربوية، وكـشـف الشبه التي تعلق بها ، وبيان بطلان ما استند إلـيـه فـي تـحـلـيـل ربا الفضل وربا النسيئة ، ما عدا مسألة واحدة وهي ما اشتهر من ربا الجاهلية من قول الـدائـن للـمـديـن المعسر عند حلول الدين: إما أن ترْبي وإما أن تقضي، فهذه المسألة عند إبراهيم المذكور هي المحرمة من مسائل الربا، وما ســواهــا فهو حـلال، ومن تأمل كتابته اتضح له منها ذلك ، وسأبين ذلك إن شاء الله بياناً شـافــيــاً ، يتضح به الحق، ويزهق به الباطل، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإلى القارئ بيان ذلك :

أولاً : قال إبراهيم في أول بحثه ما نصه : يمكن الـقــول إنه لن تكون هناك قوة إسـلامية بدون قوة اقتصادية ، ولن تكون هناك قوة اقتصادية بدون بنوك ، ولن تكون هناك بـنـوك بلا فوائد !
والجواب أن يقال : يمكن تسليم المقدمة الأولى ؛ لأن المسلمين في كل مكان يجب عليهم أن يعنوا باقتصادهم الإسلامي بالطرق التي شرعها الله - سبحانه - حتى يتمكنوا من أداء ما أوجب الله عليهم، وترك ما حرم الله عليهم ، وحتى يتمكنوا بذلك من الإعداد لعدوهم، وأخــذ الـحــذر مـن مـكـائده ، قال الله - عز وجل - : ((وتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ)) [المائدة:2] ، وقـــال - سـبـحـانه - : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)) [المائدة:1] ، وقال - تعالى - : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ولْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ولا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ ولْيُمْلِلِ الَذِي عَلَيْهِ الحَقُّ ولْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ولا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً)) إلى قوله - سبحانه - : ((إلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وأَشْهِدُوا إذَا تَبَايَعْتُمْ ولا يُضَارَّ كَاتِبٌ ولا شَهِيدٌ)) الآية [البقرة:282] ، وقال - تعالى - : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ)) الآية [النساء:29] ، وقال - سبحانه - : ((وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)) الآية [الأنفال:60]. والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وهي مشتملة على توجيه الله - سبحانه - لعباده إلى التعاون على كل ما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم ، وأمرهم بالتعاون على البر والتقوى ، وتحذيرهم من التعاون على الإثم والعدوان ، كما أمر - سبحانه - بالوفاء بالعقود وإثبات حقوقهم بالطرق الشرعية ، وحذرهم من أكل أموالهم بالباطل ، وأمرهم - سبحانه - بالإعداد لعدوهم ما استطاعوا من قوة ، وبذلك يستقيم اقتصادهم الإسلامي ، ويحصل بذلك تنمية الثروات وتبادل المنافع والوصول إلى حاجاتهم ومصالحهم بالوسائل التي شرع الله لهم ، كما حذرهم - سبحانه - في آيات كثيرة من الكذب والخيانة وشهادة الزور وكتمان شهادة الحق ومن أكل أموالهم بينهم بالباطل والإدلاء بها إلى الحكام ليميلوا عن الحق إلى الحكم بالجور ،

وعظّم - سبحانه - شأن الأمانة ، وأمر بأدائها في قوله - عز وجل - : ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)) [النساء:58] ، وقوله - سبحانه - : ((إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا)) الآية [الأحزاب:72] ، وحذرهم - عز وجل - من خيانة الأمانة في قوله - سبحانه - : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)) [الأنفال:27] ، ووصف عباده المؤمنين في سورة "المؤمنون" وفي سورة "المعارج" بأنهم يرعون الأمانات والعهود وذلك في قوله - سبحانه - : ((والَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)) [المعارج:32 ، والمؤمنون:8].
فمتى استقام المسلمون على هذا التعليم والتوجيه وتواصوا به وصدقوا في ذلك فإن الله - عز وجل -يصلح لهم أحوالهم، ويبارك لهم في أعمالهم وثرواتهم ، ويعينهم على بلوغ الآمال والسلامة من مكائد الأعداء ، وقد أكد هذه المعاني - سبحانه - في قوله - عز وجل -: ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)) [التوبة:119] وفي قوله سبحانـه: ((أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ولَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ إن يَكُنْ غَنِياً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الهَوَى أَن تَعْدِلُوا وإن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)) [النساء:135] ، وقال - سبحانه - : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) [المائدة:8] ، وقال - سبحانه - ((وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)) الآية [الأنفال:60] ، وقال -عز وجل- : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ)) [النساء:71] ، والآيات في هذا أكثر من أن تُحصر.
وأما المقدمتان الثانية والثالثة - وهما قوله : ولن تكون هناك قوة اقتصادية بدون بنوك ولن تكون هناك بنوك بلا فوائد - فهما مقدمتان باطلتان ، والأدلة الشرعية التي قدمنا بعضها وما درج عليه المسلمون من عهد نبيهم -صلى الله عليه وسلم- إلى أن أنشئت البنوك ، كل ذلك يدل على بطلان هاتين المقدمتين ، فقد استقام اقتصاد المسلمين طيلة القرون الماضية، وهي أكثر من

ثلاثة عشر قرناً بدون وجود بنوك، وبدون فوائد، وبدون فوائد ربوية، وقد نمت ثروتهم ، واستقامت معاملاتهم ، وحصلوا على الأرباح الكثيرة ، والأموال الجزيلة، بواسطة المعاملات الـشــرعــيــة ، وقد نصر الله المسلمين في عصرهم الأول على أعدائـهم، وسادوا غـالـب المعمورة ، وحكموا شرع الله في عباده وليس هناك بنوك ولا فوائد ربـويـة، بـل الـصـواب عكس ما ذكره الكاتب إبراهيم وهو أن وجود البنوك والفوائد الربوية صــار سبباً لتفرق المسلمين، وانهيار اقتصادهم ، وظهور الشحناء بينهم ، وتفرق كلمتهم، إلا من رحمه الله، وما ذاك إلا لأن المعاملات الربوية تسبب الشحناء والعداوة، وتسبب المحق ونزع البركة وحلول العقوبات ؛ كما قــال عز وجل:((يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ويُرْبِي الصَّدَقَاتِ)) [البقرة:276] والآن ما يقع بين الـنــــاس بـسـبـب الربا من كثرة الديون ومضاعفتها بسبب الزيادة المتلاحقة كل ذلك يسبب الشحناء والعداوة ، مع ما ينتج عن ذلك من البطالة وقلة الأعمال والمشاريع النافعة؛ لأن أصحاب الأموال يعتمدون في تنميتها على الربـا، ويعطلون الكثير من المشاريع المفيدة النافعة من أنواع الصناعات وعمارة الأرض وغير ذلك من أنواع الأعمال المفيدة.

وقـد شــرع الله لـعـبـاده أنـواعـاً مـن المعاملات يحصل بها تبادل المنافع، ونمو الثروات، والتعاون على كل ما ينفع المجتمع ، ويشغل الأيدي العاطلة ، ويعين الفقراء على كسب الــرزق الـحــلال، والاسـتـغـنــاء عن الـربـا والتسول وأنواع المكاسب الخبيثة، ومن ذلك المضاربات وأنواع الشركات التي تنفع المجتمع ، وأنواع المصانع لما يحتاج إليه الناس من الـســلاح والملابــس والأوانــي والمفارش وغير ذلك ، وهكذا أنواع الزراعة التي تشغل بها الأرض ، ويحصل بها النفع العام للفقراء وغيرهم ، وبذلك يعلم كل من له أدنى بصيرة أن الـبـنـوك الـربـويــة ضد الاقتصاد السليم وضد المصالح العامة ، ومن أعظم أسباب الانهيار والـبـطـالـة ومحق البركات وتسليط الأعداء وحلول العقوبات المتنوعة والعواقب الوخـيمة، فنسأل الله أن يعافي المسلمين من ذلك وأن يمنحهم البصيرة والاستقامة على الحق.

ثانياً : قال إبراهيم : إن وظيفة الجهاز المصرفي في اقتصادٍ ما تشبه إلى حد قريب وظيفة القلب بالنسبة لجسم الإنسان تماماً... الخ.
والجواب : ليس الأمر كما قال ، بل يمكن أن يقوم الجهاز المصرفي بما ذكره الكاتب ، من غـيـر حــاجـة إلى الربا ، ولا ضرورة إليه كما قام اقتصاد المسلمين في عصورهم الماضية وفي عـصــرهم الأول الذهبى بأكمل اقتصاد وأطهره من دون وجود بنوك ربوية كما تقدم ، وقد نـصــر الله بهم دينه ، وأعلى بهم كلمته وأدرّ عليهم من الأرزاق والغَناء ، وأخرج لهم من الأرض ما كفاهم وأغناهم وأعانهم على جهاد عدوهم ، وحماهم به من الحاجة إلى ما حرم الله عليهم ، ومن درس تاريخ العالم الإسلامي من عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى ما قبل إنشاء المصارف الربوية علم ذلك يقيناً.
وإنما يؤتى المسلمون وغيرهم في اقتصادهم ونزع البركات مما في أيديهم بأسباب انحرافهم عن شريعة الله، وعدم قيامهم بما أوجب الله عليهم، وعدم سيرهم على المنهج الذي شرعه الله لـهـم فـيـمــا بـيـنـهم من المعاملات، وبذلك تنزل بهم العقوبات، وتحل بهم الكوارث بأسباب أعمالهم المخالفة لشرع الله ؛ كما قال - عز وجل - : ((ومَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ويَعْفُو عَن كَثِيرٍ)) [الشورى:30] ، وقال - عز وجل - : ((ولَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا واتَّقَوْا لَـفَـتَـحْـنَــا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ولَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) [الأعراف: 196]، وقال - سبحانه - : ((ولَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ آمَنُوا واتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ولأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ولَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإنجِيلَ ومَا أُنزِلَ إلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ ومِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم))الآية [المائدة:65،66] ، وقال - تعالى - : ((ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً. ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ومَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)) [الطلاق:2،3] ، وقال - سبحانه -:((ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً)) [الطلاق:4].
ثالثاً :ذكر إبراهيم في بحثه ما نصه : والسؤال الذي لم نعثر على جواب حتى الآن هو : كـيـف يـنـظـر فقهاء المسلمين إلى

الظاهرة الاقتصادية للفائدة ، ولماذا يعتبر القرض بالفائدة محرماً في نظرهم ؟... الخ.

والجواب عما ذكره هنا إلى نهاية بحثه المشار إليه أن يقال :

إنما نظر الفقهاء من سائر علماء المسلمين في أمر الفائدة وعلقوا بها التحريم؛ لأن الأحاديث الـصـحـيـحـة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أناطت بها التحريم ، وهى أحاديث مـسـتـفـيـضة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ، لا مغمز فيها ، وهي تدل دلالة صريحة قـطـعـيــة على أن بيع المال الربوي بجنسه مع أي زيادة - ولو قلّت - ربا صريح محرم ، ولكن الـكـاتـب إبراهيم المذكور - هداه الله وألهمه رشده - أعرض عنها كلها ، ولم يلتفت إليها ، وإنما تكلم على الربا المجمل الوارد في القرآن الكريم ، وحاول بكل ما استطاع أن يحصر الربا في مسألة واحدة هي : ما إذا أعسر المدين واتفق مع الدائن على إمهاله بفائدة معينة، هذا ملخص بحثه، وما سوى ذلك فقد حاول في هذا البحث إلحاقه بقسم الحلال لحاجة الناس - بزعمه - إلى ذلك وأن هذا هو الذي تقوم به المصارف ، وزعم أن الحاجة داعية إلى ذلك، وأن مصالح العباد لا تتم إلا بهذه المعاملات الربوية التي تستعملها البنوك وقد تـعـلـق بـأشـياء مجملة من كلام الموفق بن قدامة وشيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن الـقـيـم - رحمهم الله جميعاً - فيما ذكروه عن المصلحة وأن الشرع لا يمنع تحقيق المصالح التي تنفع المسلمين بدون ضــرر على أحد ، ولا مخالفة لنص من الشرع المطهر.. وهذا كله لا حجة له فــيــه؛ لأن المصالح التي أراد هؤلاء الأئمة وأمثالهم تحقيقها إنما أرادوا ذلك حيث لا مانع شــرعـــي يمـنع من ذلك ، وذلك في المسائل الاجتهادية التي لا شيء فيها يوضح الحكم الشرعي ، وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- على تحريم ربا الفضل ، وعلى تحريم ربا النسيئة ، وذكر بعض أهل العلم أن تحريم ربا الفضل من باب تحريم الوسائل ؛ لأن عاقلاً لا يبيع شيئاً بأكثر منه من جنسه يداً بيد ، وإنما يكون ذلك إذا كان أحد العوضين مؤجلاً أو كان أحدهما أنفس من الآخر ، ولهذا لما باع

بعض الصحابة - رضي الله عنهم - صاعين من التمر الرديء بصاع واحد من التمر الطيب ، وأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك قال له النبي -صلى الله عليه وسلم- : " أوه عين الربا عين الربا لا تفعل !" الحديث ، متفق عليه ، وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : "لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ولا تُشِفُّوا (1) بعضها على بعض ولا تبيعوا الفضة بالفضة إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا منها غائباً بناجز". وفي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد". والأحاديث في هذا المعنى كثيرة في الصحيحين وغيرهما.

وأما قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنه - : "إنما الربا في النسيئة" ، فالمراد به عند أهل العلم معظم الربا ، وليس مراده -صلى الله عليه وسلم- كل أفراد الربا ، للحديثين السابقين وما جاء في معناهما من الأحاديث الصحيحة. وقد علم أن المعاملات الربوية تجمع بين ربا الفضل وربا النسيئة ، فإن المودع بالفائدة قد جمع هو وصاحب البنك بين الأمرين ، وهما النسيئة والفائدة فباء بإثم المعاملتين. وأما كون المرابي الباذل للفائدة قد يكون محتاجاً فهذا ليس هو الموجب للتحريم وحده بل قد جمع هذا العقد بين الربا وبين ظلم المعسر بتحميله الفائدة وقد عجز عن الأصل ، وبذلك تكون المعاملة معه على هذا الوجه أعظم تحريماً وأشد إثماً ؛ لأن الواجب إنظاره وعدم تحميله ما حرم الله من الربا ، وأما اشتراك الدائن والمدين في الانتفاع بالمعاملة الربوية ، وأن كل واحد منهما يحصل منها على فائدة فهذا الاشتراك لا ينقل المعاملة من التحريم إلى الحل ولا يجعلها معاملة شرعية يباح فيها الربا ، لأن الشارع الحكيم لم يلتفت إلى ذلك ، بل حرم الفائدة تحريماً مطلقاً ، ونص على ذلك الرسول -صلى الله عليه وسلم- في أحاديث منها ما تقدم ، ولو

كان انتفاع المدين بالفائدة يحلها لنص عليه المولى - سبحانه - وبينه في كتابه الكريم أو على لسان رسوله الأمين - عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم - وقد قال الله - عز وجل - في سورة النحل : ((ونَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وهُدًى ورَحْمَةً وبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)) [النحل:89] ، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : "ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمهم لهم" ، ومعلوم أن نبينا -صلى الله عليه وسلم- هو أفضل الرسل وأكملهم بلاغاً وأتمهم بياناً ، فلو كانت المعاملة بالفائدة المعينة جائزة إذا كان المدين ينتفع بها لبينها النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمته ، وأوضح لهم حكمها ، فكيف وقد بين -صلى الله عليه وسلم- في صريح أحاديثه تحريمها والتحذير منها والوعيد على ذلك ، وقد علم أن السنة الصحيحة تفسر القرآن ، وتدل على ما قد يخفى منه كما قال - تعالى - في سورة النحل : ((وأَنزَلْنَا إلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إلَيْهِمْ ولَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [النحل:44] ، وقال - عز وجل - : ((ومَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وهُدًى ورَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) [النحل:64] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأما نقله عن الشيخ رشيد رضا في إجازته الربا في صندوق التوفير فهو غلط منه ، ولا يجوز أن يعوَّل عليه والحجة قائمة عليه وعلى غيره من كل من يحاول مخالفة النصوص برأيه واجتهاده ، وقد تقرر في الأصول أنه : لا رأي لأحد ولا اجتهاد لأحد مع وجود النص ، وإنما محل الرأي والاجتهاد في المسائل التي لا نص فيها ، فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر إذا كان أهلاً للاجتهاد ، واستفرغ وسعه في طلب الحق ، لما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من حديث عمرو بن العاص - رضي الله عنه - وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مثله ، أما المسائل التي نص على حكمها القرآن الكريم أو الرسول -صلى الله عليه وسلم- في سنته فليس لأحد أن يجتهد في مخالفة ما

دل عليه النص ، بل الواجب التمسك بالنص وتنفيذ مقتضاه بإجماع أهل العلم. والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رابعاً :ثم قال الكاتب الدكتور إبراهيم في نهاية البحث ما نصه : "وخلاصة البحث بعد هذه المقارنة الواضحة بين الربا الذي ورد تحريمه في القرآن الكريم ، وبين المعاملات المصرفية يتضح لنا أن المعاملات المصرفية تختلف تماماً عن الأعمال الربوية التي حذر منها القرآن الكريم ؛ لأنها معاملات جديدة لا تخضع في حكمها للنصوص القطعية التي وردت في القرآن الكريم بشأن حرمة الربا ، ولهذا يجب علينا النظر إليها من خلال مصالح العباد وحاجاتهم المشروعة اقتداءً برسول الله في إباحته بيع "السلم" رغم ما فيه من بيع غير موجود ، وبيع ما ليس عند البائع مما قد نهى عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الأصل ، وقد أجمع العلماء على أن إباحة السلم كانت لحاجة الناس إليه ، وهكذا فقد اعتمد العلماء على "السلم" وعلى أمثاله من نصوص الشريعة في إباحة الحاجات التي لا تتم مصالح الناس في معاشهم إلا بها".

والجواب أن يقال :

إن المعاملات المصرفية لا تختلف عن المعاملات الربوية التي جاء النص بتحريمها ، والله - سبحانه - بعث نبيه -صلى الله عليه وسلم- إلى جميع الثقلين ، وشرع لهم من الأحكام ما يعم أهل زمانه ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة ، فيجب أن تعطى المعاملات الجديدة حكم المعاملات القديمة إذا استوت معها في المعنى ، أما اختلاف الصور والألفاظ فلا قيمة له ؛ إنما الاعتبار بالمعاني والمقاصد ، ومعلوم أن مقاصد المتأخرين في المعاملات الربوية من جنس مقاصد الأولين وإن تنوعت الصور ، واختلفت الألفاظ ، فالتفريق بين المعاملات الربوية القديمة والجديدة بسبب اختلاف الألفاظ والصور مع اتحاد المعنى والمقاصد تفريق باطل ، وقد جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- قول من قال يوم حنين : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط مثل قول بني إسرائيل لموسى : ((اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة)) [الأعراف:138] ، ولم ينظر النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى اختلاف الألفاظ لما

اتحد المعنى ، وهكذا عاقب الله بني إسرائيل لما نصبوا الشباك يوم الجمعة ليصيدوا بها الصيد المحرم عليهم يوم السبت ولم يعذرهم بهذه الحيلة مع أنهم لم يأخذوا الصيد من الشباك إلا يوم الأحد وذلك لاتحاد المعنى وإن اختلفت الوسيلة. والأمثلة على هذا كثيرة في النصوص الشرعية ، وقد صح عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : "لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل !".

وأما التشبيه بالسلم فهو من باب المغالطة والتعلق بما لا ينفع ، فإن إباحة السلم من محاسن الشريعة الكاملة ، وقد أباحه الله - سبحانه - لحاجة العباد إليه ، وشرط فيه شروطاً تخرجه عن المعاملات المحرمة ، فهو عقد على موصوف في الذمة بصفات تميزه وتبعده عن الجهالة والغرر - إلى أجل معلوم بثمن معجل في المجالس يشترك فيه البائع والمشتري في المصلحة المرتبطة على ذلك، فالبائع ينتفع بالثمن في تأمين حاجاته الحاضرة، والمشتري ينتفع بالمسْلَم فيه عند حلوله لأنه اشتراه بأقل من ثمنه عند الحلول ، وذلك في الغالب ، فحصل للمتعاملين في عقد السلم الفائدة من دون ضرر ولا غرر ولا جهالة ولا ربا.

أمــا الـمـعاملات الربوية فهي مشتملة على زيادة معينة نص الشارع على تحريمها في بيع جنس بـجـنـســه نقداً أو نسيئة ، وجعله من أكبر الكبائر لما له - سبحانه - في ذلك من الحكمة الـبـالـغـة ولمـا للـعـبـاد فـي ذلك من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة التي منها ســلامـتـهـم مـن تـراكـــم الديون عليهم، ومن تعطيلهم المشاريع النافعة والصناعات المفيدة اعتماداً على فوائد الربا.

وأما زعم الكاتب إبراهيم أن المصارف والأعمال المصرفية حاجة من حاجات العباد لا تتم مصالح معاشهم إلا بها... الخ فهو زعم لا أساس له من الصحة ، وقد تمت مصالح العباد في القرون الماضية قبل القرن الرابع عشر وقبل وجود المصارف ، ولم تتعطل حاجاتهم ولا مشاريعهم النافعة ، وإنـمــا يأتي الخلل وتتعطل المصالح من المعاملات المحرمة وعدم قيام المجتمع بما يجب عليه فـي مـعاملة إخوانه من النصح والأمانة والصدق والبعد

عن جميع المعاملات المشتملة على الربا أو الـغـــرر أو الخيانة أو الغش ، والواقع بين الناس في سائر الدنيا يشهد بما ذكرنا ، ولا سبيل إلى انـتـعــاش المصالح وتحقيق التعاون المفيد إلا بسلوك المسلك الشرعي المبني على الصدق والأمانة والابـتـعـاد عن الكذب والخيانة وسائر ما حرم الله على العباد في معاملاتهم ؛ كما قال الله سبحانه في كتابه المبين : ((وتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثْمِ والْعُدْوَانِ)) [المائدة:2]، وقال سبحانه: ((إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلَى أَهْلِهَا وإذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)) الآية [النساء:58]، وقال-سبحانه-: ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)) [الأنفال:27]، وقال - عز وجل - : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إلَى أَجَـــلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ولْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ولا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ ولْيُمْلِلِ الَذِي عَلَيْهِ الحَقُّ ولْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ولا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً)) [البقرة:286]، وقال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)) [الأحزاب:70،71]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركت بيعهما" متفق على صحته ، وعن أبي سعيد - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى ، الآخذ والمعطي فيه سواء" رواه أحمد والبخاري.

وعن جابر - رضي الله عنه - قال : "لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : هم سواء" رواه مسلم.

وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "الذهب بالورِق ربا إلا هاء وهاء والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء ، والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء ، والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء" متفق عليه. وقال عليه الصلاة والسلام : "من غشنا فليس منا" رواه مسلم، وقال - عليه الصلاة والسلام -:"ألا أنبئكم

بأكبر الكبائر ، فقالوا: بلى يا رسول الله ! ، فقال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان -صلى الله عليه وسلم- فجلس فقال : ألا وقول الزور ، أو وشهادة الزور" متفق عليه. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

لا يجوز لأحد من الناس أن يحلل ما حرم الله بالنص قياساً على ما حلل الله بالنص ، ومن حاول أن يحلل ما حرم الله من الربا قياساً على ما أحل الله من السلم فقد أتى منكراً عظيماً ، وقال على الله بغير علم ، وفتح للناس باب شر عظيم وإفساد كبير ، وإنما يجوز القياس عند أهل العلم القائلين به في المسائل الفرعية التي لا نص فيها إذا استوفى الشروط التي تلحق الفرع بالأصل ، كما هو معلوم في محله وقد حرم الله القول عليه بغير علم ، وجعله في مرتبة فوق مرتبة الشرك وبين - عز وجل - أن الشيطان يدعو إلى ذلك ويأمر به كما يدعو إلى الفحشاء والمنكر ، قال الله - سبحانه - : ((قُلْ إنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ والإثْمَ والْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)) [الأعراف: 33] ، وقال - سبحانه - : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً ولا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. إنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ والْفَحْشَاءِ وأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)) [البقرة:168،169].

فنسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ، وأن يمنحهم الفقه في الدين ، وأن يوفق علماءهم لبيان ما أوجب الله عليهم من أحكام شرعه والدعوة إلى دينه ، والتحذير مما يخالفه ، وأن يكفيهم شر أنفسهم ، وشر دعاة الباطل ، وأن يوفق الكاتب إبراهيم للرجوع إلى الحق والتوبة مما صدر منه وإعلان ذلك على الملأ؛ لعل الله يتوب عليه كما قال - عز وجل -: ((وتُوبُوا إلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [النور:31] ، وقال - سبحانه -: ((إنَّ الَذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ويَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ. إلاَّ الَذِينَ تَابُوا وأَصْلَحُوا وبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وأَنَا التَّوَّابُ الـرَّحِيم)) [البقرة: 159،160].

ولا شك أن مقاله يحتاج إلى أكثر مما كتبت ، ولكن أرجو أن يكون فيما بينته مقنعاً وكفاية لطالب الحق. والله المستعان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

نقد

قراءة في فكر مالك بن نبي

محمد العبدة

إذا عُدَّ المفكرون من المسلمين في هذا العصر فإن مالك بن نبي هو من هذه القلة الذين ينطبق عليهم هذا الوصف ؛ فالمفكر هو الذي يدرس ويتأمل ويقارن ويحلل المشكلة إلى أجزائها ، ثم ينسق ويركب ويجتهد في إيجاد الحلول.

وقد ترددت كثيراً قبل الكتابة عن مالك بن نبي ؛ لا لأنه عميق الغور ، غوَّاص في البحث والتنقيب ، أو لأن تتبع آرائه وأفكاره يحتاج إلى جهـد ، بـل لأنـه يطـرح أفكاراً وآراءً لا تتناسب مع عمق تفكيره ، يقف الإنسان أمامها حائراً : من أين جاءته ؛ وما هي الخلفية الثقافية التي جعلته يتبنى هذا الرأي أو ذاك ؛ وهل هو مؤيد أم مـعـارض ؟ وقد كان ذلك التردد وإعادة القراءة مرات ومرات حتى لا نظلمه ، وليستبين الحـق وتـتـضـح الصورة ، وتحل الإشكالات.

إن الكتابة عن مالك بن نبي ضرورية للأجيال التي يجب عليها أن تـتـعرف على ما كتبه أصحاب الخبرة والتجربة في مجال الصراع الفكري المحتدم بين أوربـا المستـعـمـرة والعالم الإسلامي منذ نهاية القرن الثامن عشر ، فلم يعد من المجدي طرح الحلول العامة والعائمة ولابد من الدخول في التفاصيل ، ومعرفة أسباب الفشل وأسباب النهضة ، ولكن العجب لا ينقضي عندما ندرك أننا في كثير من الأحيان لا نستفيد مما كتبه السابقون لنا الذين تصدوا للإصلاح في أوائل هذا القرن.

يقول الأستاذ الشيخ محمود محمد شاكر - في تقديمه لكتاب "في مهب المعركة" مصوراً هذه الظاهرة : "فإذا نحن نرى أنفسنا في ضوء ما كَتب قديماً ، كأننا لم نـتـقـدم خـطـوة في فهم الـبـلاء الـذي يـنـزل بـنا ولا يزال ينزل ، وأشد النكبات التي يصاب بها الـبـشـر نـكـبـة الغفلة..." (1).
ولمالك مشكـلـة خـاصـة في انصراف بعـض الشباب المسلم عن قراءة إنتاجه الفكري ، وهي إحدى الأسباب وليست السبب الوحيد على كل حال؛ فقد كتب سيد قطب رحمه الله:
"لقد كنت أعلنت مرة عن كتاب لي تحت الطبع بعنوان "نحو مجتمع إسلامي متحضر" ثم عدت في الإعلان التالي عنه فحذفت كـلـمـة (مـتـحـضـر) ، ولـفت هذا التعديل نظر كاتب جزائري (يكتب بالفرنسية) ففسره على أنه ناشئ عن (عملية دفـاع نفـسـيـه داخلـيـة عن الإسلام) وأسف لأن هذه العملية - غير الواعية - تحرمني مواجهة المشكلة على حقيقتها.
أنا أعذر هذا الكاتب... لقد كنت مثله من قبل... كانت المشكلة عندي -كما عنده اليوم- هـي مـشكـلـة (تـعـريـف الحـضـارة).. ثـم انجـلت الصورة (المجتمع المسلم) هو (المجتمع المتحضر)" (2).
وفهم الشباب المسلم أن هذا الكاتب الجـزائـري واقع تحت ضغط آتٍ من مصادر أجنبية ، فكان ذلك سبباً لابتعادهم عن قراءة فكر مالك، ولكن القضية هي قضية مصطلحات؛ فمالك يتكلم عن المجتمع الإسلامي الموجود وأنه يحــتـاج إلى رفـعـه إلى مستوى الحضارة حـتـى يستأنف دوره - وطبعا لا يعني هنا الحضارة الـغـربـية وإنما الحضارة بتعريفه هو - وسيد يتكلم عن المجتمع الإسلامي المنشود وأنه إذا وُجد فـثَـم الحـضـارة ، والإسلام هو الوحيد الذي ينتج حضارة متكاملة، ولا شك أن سيداً - رحمه الله - أنقى وأوضـح تصوراً وفكراً، وهو ينظر إلى الحضارة الغربية من علٍ ؛ لأنه المسلم المتميز بعقـيـدتـه وتصوراته ، ولكن مالكاً هنا يبحث في التفاصيل والجزئيات ، وكيف يركبها لينتقل بالمسلم من حالة التخلف والركود إلى حالة (الإقلاع) للدخول في دورة الحضارة مرة ثانية ، وسـيـد يـرى اسـتـيـراد النظريات العلمية(مجردة) ومالك يقول : هذه الأشياء المستوردة هي نتاج

حضارة وثقافة ، هذه الأشياء صنعها علم النفس وعلم الاجتماع أيضاً ، ولذلك سواء استوردناها أو صنعناها لابد أن تكون هناك ثقافة تحيط بها حتى تضعها في مكانها المناسب ، وحتى لا تتحول إلى (تكديس) وهذه الثقافة هي الثقافة الإسلامية..

إن ظاهرة انصراف بعض الـنـاس عـن فـكـر مـعيـن - بسبب كلمة تقال من عالم مشهور - ليست جديدة ولا غريبة ، فعندما ترجم أحد العلماء للمؤرخ ابن خلدون ؛ تكلم فيه وانتقد عليه بعض التصرفات الشخصية عنده ، فكان ذلك من أسباب إعراض الناس عن (المقدمة) الـتي تـعتـبـر أعظـم ما أنـتـجـه المسلمـون في علـم الاجتـمـاع وفن النقد التاريخي، ولمالك إيجابيات كثيرة سنتكلم عنها إن شاء الله ، وله أخطاء ، ولابـد مـن عرض كليهـمـا حتى يتبين وجه الصواب لمن أراده ، وهو واضح جلي والحمد لله.

نبذة عن حياته :

وُلد مالك بن نبي في مدينة قسنطينة في الجزائر عام 1905 ، ونشأ في أسـرة فقيـرة ؛ لأن جده لأبيه هاجر إلى طرابُلس الغرب احتجاجاً على الاستعمار الفرنسي وحـمـل مـعـه كـل أملاك العائلة ، هذا الميلاد جعله يتصل بالماضي عن طريق من بقي حياً من شهوده (3).

انتقل والده إلى (تبسة) فعاش فيها طفولته وكانت هذه المدينة الصغيرة بعيدة نـوعـاً ما عن (الحضور الفرنسي) وذلك لاحتكاكها بالقبائل المجاورة ؛ فحفظها الـطـابـع الـبـدوي عن الاختلاط مع الفرنسيين ، وفي (تبسة) كان يدرس في الصباح العربية والقرآن ثم يذهب في الساعة الثامنة إلى المدرسة الحكومية الفرنسية ، وفي المرحلة التكميلية كان يتابع دروس العربية والدين ، وكانت المدرسة الفرنسية تشجعه على المطالعة عن طريق إعارة الكتب.

تعرَّف على تلاميذ ابن باديس من الشباب ، وشعر أنه - وإياهم - على خط فكري واحد ، وكان يقرأ (الشهاب) و(المنتقد) قبلها ولكنه لم يتصل بالشيخ ابن باديس ولا تتلمذ عليه ، وفي (تبسة) حيث تعيش أسرته لم يتتلمذ أو يؤيد تأييداً قوياً الشـيـخ الـعـربي التبسي ، وكأن هناك حاجزاً نفسياً بينه وبين المشايخ ، ويعترف

بعد ربع قرن : "حـينـمـا تفحصت شعوري حول هذا الموضوع تبين لي أن السبب يكمن في مجموعة من الأحكام الاجـتمـاعـيـة المسبقة ، وفي تنشئة غير كافية في الروح الإسلامي" (4) ، ويتابع الحديث عـن الأسـبـاب الاجتماعية : "فأحكامي المسبقة ربما أورثتنيها طفولتي في عـائلـة فـقـيـرة في قسنـطـيـنة ، زرعت لاشعورياً في نفسي نوعاً من الغيرة والحسد حيال العائلات الكبيرة التي كان الشيخ العربي ينتمي إلى واحدة منها" (5) ، "وكنت أعتقد أنـني أقـرب إلى الإسلام بالبقاء قريباً من البدوي أكثر من البلدي الرجل الذي يحيط به وسـط مـتحـضـر ، وكـان الشيخ العقبي يبدو في ناظري بدوياً ، بينما يبدو الشيخ ابن باديس بلدياً" (6) ، فقد تبـيـن لـنـا أسباب جفائه لزعماء جمعية العلماء وهو شاب ، أما عندما نضج فكرياً فسيكون له مـوقـف مـبـني على أسس عنده سنتكلم عنها إن شاء الله.

بعد الانتهاء من الثانوية عمل متطوعاً في محكمة (تبسة) وهناك تعرف - من خلال تجوال أعضاء المحكمة في الريف - على رجل الفطرة الذي يستضيف أعضاء المحكمة رغم أنـهـم حكمـوا علـيـه بالـضرائـب والـغرامـات، ثم عمل موظفاً في محكمة (أفلو) التي تقع جنوب وهران في غرب الجزائر ، وهناك أيضاً تعرف على الكرم العربي والفطرة الصادقة: "فـالـناس في المدن لا يستطيعون فهم هـذه الـعقـلـيـة أو ذاك الـنـبـل في عـروق الـبـدوي" (7)،وتعرف على فضائل الشعب الجزائري قبل أن يفسده الاستعمار ، ثم انتقل للعمل في محكمة (شاتودان) ولم يطق معاملة موظفيها ؛ فاستقال وتوجه إلى فرنسا وذلك عام 1930م في محاولة للانتساب إلى معهد الدراسات الشرقية ، ولكن طلبه رُفض ؛ لأن الدخول لهذا المعهد - كما يقول هو - لا يخضع لمقياس علمي وإنما لمقياس سياسي.

انتسب إلى مدرسة اللاسلكي ودرس الكهرباء والميكانيكا ، وهذه الدراسة أعطته بُعداً آخر يقول عنها : "فتح لي عالم جديد يخضع فيه كل شيء إلى المقياس الدقيق للكم والكيف ، ويتسم فيه الفرد - أول ما يتسم -بمَيزات الضبط والملاحظة" (8) ولكن دخوله مع العمل الطلابي المغربي وتعرفه على صديقه (حمودة

بن الساعي) بدأ يغير من اتجاهه العلمي إلى التعمق في الدراسات الاجتماعية.
تخرج مهندساً كهربائياً عام 1935 وبدأ رحلة شاقة في البحث عن عمل في البلاد العربية وغيرها ، وكانت الأبواب توصد في وجهه دائماً ، وسبب ذلك في رأيه هو أنه أراد تمزيق شبكة الاستعمار ولم يدرِ أن سمك القرلق (الاستعمار) كان له بالمرصاد.
زار الجزائر في هذه الفترة ، ولاحظ وقوع الناس في حُمى الانتخابات والدجل السياسي بعد المؤتمر الجزائري.
عاد إلى فرنسا في مطلع الحرب العالمية الثانية مودعاً الجزائر بهذه العبارة :
" يا أرضاً عقوقاً ! ؛ تطعمين الأجنبي وتتركين أبناءك للجوع ، إنني لن أعود إليك إن لم تصبحي حرة !" ، وبقي في فرنسا حتى عام 1956 أصدر فيها باللغة الفرنسية : "الظاهرة القرآنية" ، "شروط النهضة" ، "وجهة العالم الإسلامي" ، "الفكرة الإفريقية الآسيوية".
زار مصر عام 1956 وبقي فيها حتى عام 1963، وكان له في مصر تلاميذ وأصدقاء ، وزار خلالها سورية ولبنان ألقى فيها المحاضرات حول موضوع "مشكلات الحضارة" ، وفي القاهرة أصدر : "حديث في البناء الجديد"، "مشكلة الثقافة"، "في مهب المعركة"، "تأملات في المجتمع العربي".
عاد إلى الجزائر عام 1963 حيث عُين مديراً عاماً للتعليم العالي وأصدر في الجزائر : "آفاق جزائرية" ، "يوميات شاهد للقرن" ، "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" ، "المسلم في عالم الاقتصاد".
استقال من منصبه عام 1967 وتفرغ للعمل الفكري.
توفي في 31/10/1973 في الجزائر - رحمه الله وغفر له -.
شخصيته :
يجتمع في مالك بن نبي خطان رافقاه طوال حياته ، فهو شخصية عاطفية ، خيالية أحياناً ، يفكر بأحلام الفلاسفة ويهيم بالتجريد. يقول عن نفسه : "أنا شديد التأثر بالحدث ، وأتلقى صدمته بكل مجامعي وبانفعالية تستطيع أن تنتزع مني

دموع الحزن حين يثير الحدث الحبور من حيث المبدأ" (9) وقـد بـكى عنـدما اندحر الجيش الفرنسى أمام ألمانيا عام 1940 مع أنه يكره الاستعمار الفرنسى ، ويعلـق هو على هذا التصرف :
"رأيت في ذاتي عنصراً آخر كشف كل التعقيد في ضمير مسلم" (10) ولم يوضح ما هو هذا العنصر الآخر ولكن يبدو لي أنه عدم التوازن بين القيم الأخلاقية وأيها يصلح لتطبيقه على الحدث ، وعندما سمع حديث والدته وذكرياتها عن الحج لم يستطع حبس دموعه فكان يتظاهر بالعطش ليخرج إلى الشرفة فيطلق العنان للدمع(11).
هذه العاطفة أنتجت له شخصية حالمة أحياناً ، فعندما يسمع ويقرأ عن شاعر مثل (طاغور) تتفتح أمامه الأحلام عن الشرق وأن الإنقاذ ربما يأتي من روحـانـيـة الهـنـد كما يسميها ، وعندما يسمع بأنباء الخلاف بين الملك عبد العزيز آل سعود وإمام اليمن يكـتب رسالة إلى سفارة اليابان يدعو حكومتها للتدخل باسم التضامن الآسيوي لمساعدة ابن سـعـود حتى لا تتمزق الجزيرة العربية ، وطبعاً لم يستجب (الميكادو) لطلبه !
وفي الجانب الآخر نجد شخصية مالك الناقد المحلل الذي يمتـلك الـقـدرة الـفـائـقـة على النفاذ لأعماق المشكلة وبيان أسبابها ، من خلال الـنـظرة العلمـية الصـارمـة ، ومـن خلال اطلاع واسع على الثقافة الغربية وكيف تنشأ الحـضارات مع معرفـة بواقـع المجـتـمـعات الإسلامية من خلال معرفته الشخصية بالمجتمع الجـزائـري ، وهو في مقارناته وتحليلاته يشبه سلفه المغربي المؤرخ ابن خلدون ، حيث تلتـقـط الـذاكـرة كل جزئية وكل حادثة ثم يبدأ التحليل والمقارنة ثم يخرج بالنتـائج الـتـي يرتـضيـها ، يقول عن سكان (أفلو) عندما عمل عندهم كمساعد في المحكمة :
"فملكية الإنسان لأرض ما تخلق في نـفسـه غـرائـز اجتمـاعـيـة قد سلم منها الراعي ، ففي دعوى أمام القضاء في (تبسة) يستطيع كل فريق أن يقدم عشرة شهود زور بالمجان، وشهود كل واحد من الطرفين سيحلفان أنهما يقولان الحقيقة ، أما في (أفلو)

فقد لاحظـت الـرجل يرفض غالباً أن يحلف ولو كان ذلك لدعم حقه الواضح"(12).
وعندما أراد القيام بعمل علمي مشترك مع صديقه (ابن الساعي) فشلت المحاولة ؛ فـعـلـق قائلاً : "ولم أكن أعلم أن العمل الجماعي بما يفرض من تبعات إنما هو من المقومـات التـي فقدها المجتمع الإسلامي ثم لم يسترجعها بعد خصوصاً بين مثقفيه" (13).
هذان الخطان استمرا في حياة ابن نبي ، فالعاطفة التي تجمح إلى الخيال أحياناً جـعلـتـه يعقد في الخمسينات آمالاً كباراً على مؤتمر باندونغ وظن أنه سيحل مشكلة العالم الثالث ، ومن رفات (غاندي) سينطلق يوماً انتصار اللاعنف ونشيد السلم العالمى (14). كمـا استـمـر النقد التحليلى المجتمع الإسلامي ومواطن الضعف فيه فتكلم عن الذين يظنون أن الإصلاح يبدأ من (علم الكلام) كالشيخ محمد عبده ، يقول : "إن مـشكلـتـنا لـيـسـت في أن نـبـرهـن للمسلم على وجود الله بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده ونملأ به نفسه" (15).
ويكتشف مالك جرثومة المرض ، فالـذين تـركـوا الـطـواف حول القبور وأخذ البركات من الدرويش لم يستطيعوا الاستمرار فتحـولـوا إلى الطـواف حول وثن جديد وهو وثن الأحزاب السياسية والانتخابات (16) ، ولأن العمائم أسلـمـت القـيادة إلى (المطربشين) ؛ لأن العلماء لم يكونوا على جانب من الخبرة بوسائل الاستعـمـار في مجال الصراع الفكري حتى يفطنوا إلى هذا الانحراف (الغوغائية السياسية).

العوامل المؤثرة في ثقافته :

1 - وُلد مالك بن نبي في عصر سمع فيه من جدته لأمه قصص الاحتلال الفرنسي للجزائر ، وعاش مأساة بلد يخطط الاستعمار لشل فاعليته ، ومن ثـم لـتحويلـه إلى فـريسـة سهلـة الالتهام ، عاشها مالك يوماً بيوم في المدرسة الفرنسية حيث لا يسمح (لابن البلد) إكـمـال الدراسة الثانوية التي تؤهله للدراسات الجامعية ، وعاشها في تحول المجتمع عن فطرته وكيف ساد الصعاليك بمعونة الإدارة الفرنسية ، وكيف أصبحت العائلات

العريقة فقيرة ، ذليلة بسبب الاستيلاء على أراضيها ، وكان اليهود هم الواسطة لانتقال الملكية من أبنـاء البلاد إلى أبناء المستعمر ؛ فاليهودي دائماً كان يقرض بـفـائدة 60% ، وعنـدمــا درس في فرنسا وعاش مع الجالية الجزائرية رأى الاستعمار من زوايـاه المختلفة ، وشـعـر بخـبـث الأساليب التي يقوم بها لتمزيق العالم الإسلامي.

2 - القراءات الغزيرة المتنوعة ، فقد بدأ بالقراءة منذ أن كان صغيراً في الابتدائية ، وقرأ كتب علم النفس والاجتماع وهو لا يزال في المرحلة الثانوية ، وكان يقرأ كل الصحف التي تصل إلى قسنطينة أو تبسة ، ولا شك أن هذا الاطلاع الواسع على الثقافة الغربية هو في جانب منه على حساب الثقافة الإسلامية وكان له أثر عليه أيضاً ، فكثرة قراءاته لأعمال الفلاسفة جعلته يعتبر عصر الفارابي عند المسلمين هو عصر خلق الأفكار مع أن الفارابـى وأمثاله لم يقدموا شيئاً يذكر للحضارة الإسلامية ، وكانت نغمة (الإنسانية) و(الـعـالمـيـة) سائدة عند الفلاسفة الغربيين ، ونجد مالك يكررها فيتكلم عـن حضـارة الـيـوم التي تسير نحو الشمول والعالمية (17) ويستعمل أحياناً عباراتهم التي هي نتيجة انفصام عندهم بين الدين والعلم مثل قوله : "إن الطبيعة توجد النوع..." (18) أو وهبته الطبيعة.

3 - ثقافته الإسلامية : يـعتـرف مـالك بـأن الذي كان يـرده عن الـغلـو في هـذا الاتـجـاه (القراءات الكثيرة للفكر الغربي) هو ما كان يتلقاه من دروس في التوحيد والفقه ، وقراءاته للكتب التي تأتي من المشـرق الـعربي مثل : "الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق" لأحمد رضا ، و"رسـالـة الـتوحيد" للشيخ محمد عبده ، و"طبائع الاستبداد" للكواكبي ، والمجلات الإسلامية الجزائرية مثل (الشهاب) التي يصدرها الشيخ ابن باديس ، ولا شك أن ثقافته الشرعية ضعيفة ولكن عنده اطلاع على التاريخ الإسلامي وقدرة على فهم الآيات والأحاديث التي تتعلق بسنة التغيير الاجتماعى وبسبب عمق تفكيره وتحرُّقه على العالم الإسلامي كان يرى أن بذرة عـودة الـوعـي للأمة الإسلامية هي في حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي يعتبرها امتداداً لما

قام بـه ابـن تيـمـية في التجديد ، ولنفس السبب أيد جمعية العلماء في الجزائر وكان يعقد الأمل عليهم في الاصـلاح وإن اخـتـلف معهم بعدئذ ، ولبُعده عن المشرق ولضعف ثقافته الشرعية كان يمجّد جمال الدين الأفغـاني وتلميذه محمد عبده ويرى أن الأول هو مصلح الشرق ؛ فثقافته الإسلامية خليط من آراء مدرسة الأفغاني ومحمد عبده ومن فهمه لآيات القرآن وسنن التغيير ، وأنه لابـد مـن الـرجـوع إلى طـريـقـة القرآن والسنة في رفع الناس إلى مستوى الروح كما يعـبـر هـو ، والحقيقة أنه يجمع أشياء متناقضة وإن بدت منسجمة بالنسبة له.

4 - ومن المؤثرات الواضحة في شخصيته ما عاناه من الـفـقـر الشـديـد في طفولـته ، وحياة النَّصَب والتعب التي عاشها في شبابه بحثاً عن العمل ، سواء في الجزائر أو فرنـسـا ، فـقد عمل بعد تخرجه من الثانوية في مصنع للأسمنت في مدينة (ليون) بفرنسا ، فكـان يـحـمـل الأكياس على ظهره ، ومرة باع بعض ملابسه حتى يوفر وجبة غداء ، وبعد تخـرجـه من الهندسة طرق أبواب العمل في الدول العربية والإسلامية ولكن دون جدوى.

هذه الأوضاع النفسية جعلته يكره - وهو صغير - الدور المتـرفـة الـتي كـانت تـفـضح أمـام ناظريه بؤس أقاربه ، وأحكامه المسبقة كانت بسبب العيش في عائلة فقيرة زرعت لاشعورياً في نفسه من الغيرة والحسد حيال العائلات الكبيرة(19) ، وكـان يعـجـبـه مطالعة صحيفة (الإقدام) التي يصدرها الأمير خالد الجزائري والـتـي كانت تـركـز على مـوضـوع الـفـلاح الجزائري وبؤسه.

هذا ما يفسر لنا ميله للدول التي بدأت بتطبـيـق الاشتراكية كالجمهـوريـة العربية المتحدة (20) والجـزائـر بـعـد استـقـلالهـا (21)، وبتأثـيـر من هذه الـدول كان يـظـن أن الاتحـاد السوفييتي ليس عنده مُناخ استعماري وهو صديق للشعوب !

-يتبع-

الهوامش :

1 - مالك بن نبي : في مهب المعركة ، تقديم محمود محمد شاكر ، 3.

2 - سيد قطب : معالم في الطريق ، 117.

3 - مالك بن نبي : مذكرات شاهد للقرن ، 15.
4- مالك بن نبي : مذكرات شاهد للقرن ، 131.
5 - المصدر السابق ، 131.
6 - المصدر السابق ، 132.
7 - المصدر السابق ، 174.
8- مالك بن نبي : مذكرات شاهد للقرن ، 219.
9- مذكرات شاهد للقرن ، 137.
10 - المصدر السابق ، صدق مالك في تحليله هذا ؛ فقد سمعت من أحد الإخوة العاملين في حقل الدعوة الإسلامية أنه بكى عندما سمع بنبأ هلاك عبد الناصر مع أنه يكرهه كرهاً شديداً !.
11 - المصدر السابق ، 291 .
12- مذكرات شاهد للقرن ، 176.
13 - المصدر السابق ، 235.
14 - في مهب المعركة ، 87.
15 - وجهة العالم الإسلامي ، 55.
16 - شروط النهضة ، 34.
17 - في مهب المعركة ، 33.
18 - ميلاد مجتمع ، 16.
19- مذكرات شاهد للقرن ، 131.
20- ميلاد مجتمع ، 48.
21 - بين الرشاد والتيه ، 24

شذرات وقطوف

اختيار : مازن محمد راغب

مكانة القرآن

إن للقرآن أعلى حظوة لدى المسلمين، وهو عندهم ليس مجرد كتاب صلوات، أو أداة نبوية أو غذاء للروح ، أو تسابيح روحانية فحسب ؛ بل إنه أيضاً القانون السياسي وكنز العلوم ومرآة الأجيال ، إنه سلوى الحاضر وأمل المستقبل.

د.محمد عبد الله دراز - دراسات إسلامية

أمطر المعروف مطراً

قال ابن عباس رضي الله عنهما:"لايزهدنّك في الصروف كفر من كفره ، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه إليه.
وأنشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر :
إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى تصيب بها طريق المصنع
فقال : هذا رجل يريد أن يبخل الناس (يدعوهم إلى البخل) أمطر المعروف مطراً ، فإن أصابت موضعاً فهو الذي قصدت ، وإلا كنت أحق به.
وقال الحسن والحسين - رضي الله عنهما - لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرفت في بذل المال ! ، قال : بأبي أنتما وأمي ، إن الله عودني أن يفضِل عليَّ ، وعوَّدته أن أفضل على عباده ، فأخاف أن أقطع عنه العادة فيقطع عني المادة !

طريقتان

هناك طريقتان للحياة :
طريقة سلبية مبدؤها رؤية مساوئ الرجال والأعمال ، ليس لإصلاحها ، بل لاستغلالها بشكل هدام ، والعودة إليها بمناسبة وبدون مناسبة.
وطريقة إيجابية تنظر إلى الأمور بعين الرضا ، وتبحث عن محاسن الرجال لتنميتها وتحسينها ، وتعطف على ضعفهم وأخطائهم ، وتعمل على إصلاحها بكل دماثة.
لمحات في فن القيادة - ج.كورتوا

كتب

السِّيَر الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيباني

عثمان جمعة ضميرية

-1-

ألمعنا في العدد "الثاني عشر" إلماعات سريـعـة ، تـرجمـنـا فـيهـا للإمـام محمد بن الحسن الشيباني ، ليكون ذلك مدخلاً للتعريف بكتاب من أهم كتبه ، بـل مـن أهم الكتب في فقه العلاقات الدولية في الإسلام ، وهو كتاب "السير الكبير".

-2-

كان الاسم الذي أطلقه المسلمون في بداية حركة التدوين في الفقه الإسلامـي على دراستـهم التي تناولت موقف الإسلام من السلم والحرب والحياد ، وكل ما يتعلق بأحـكام الجـهـاد ومعاملة غير المسلمين هو "السير".
و"السير" جمع "سيرة" وتعني السَّيْر والسلوك ، ومما يؤيد ذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، مثل قوله - بعد أن دفع اللواء لأحد القواد - : "فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغلّوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ، فهـذا عهـد الله وسـيـرة نبـيـه فيكم" رواه مسلم وغيره. وذكر محمد بن حبيب في كتابه "المحبَّر" وهو يتحدث عن أسواق العرب المشهورة في الجاهلية - أنهم "كانوا يصنعون فيها الصنـيـعة (الضيافة) ، ويسيرون فيها بسيرة الملوك بدومة الجندل" (ص265).
وذكر ابن سعد في "الطبقات الكبرى" كتاب النبي -صلى الله علـيه وسلـم- إلى عبد القيس ، وفيه : ".. ولهم على جند المسلمين الشركة في الفيء ، والـعـدل في الحكم ، والقصد في السيرة ، حكم لا تبديل له في الفريقين" (الطبقات :1/283) ، وفي هـذه الـنصوص القليلـة نجد أن سيرة الحاكم ليست فقط وقت الحرب ، بل وقت الـسلـم أيـضاً ، يـشـار إلـيـهـا باصطلاح "سير" وذلك منذ عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ، ولعل اتخاذ هذا المصطلح للدلالة على نظرية الحرب والسلم ، أو ما يسمى اليوم "بالقانون الدولي" كان منذ عهد أبي حنيفة الذي عرف أنه أول من استعمل مصطلح "سيرة" لتمييز مجموعة دروسـه الـتي كـان يلقيها عن الإسلام في الحرب والسلم ، ووصلت هذه الدروس منقحة على يـد تلامـيذه في كتابَيْ "السير الصغير" و"السير الكبير" لمحمد بن الحسن الشيبانى ، و"الـرد على سـير

الأوزاعي" لأبي يوسف ، كما أن الإمام الشافعي - رحمه الله - يشير إلى "سير الواقدي" في كتابه "الأم".
ومن ثم فإنه يبدو أن كلمة "السير" قد صارت مصطلحاً فنياً يشيع استعماله بين الفقهاء في مختلف العصور ، وقد نص السَّرَخْسِي على هذا الفهم ، فقال في "المبسوط" - وهو يشرح كتاب "السير الصغير" للإمام محمد : " اعلم أن السير جمع سيرة ، وبه سمي هذا الكتاب ، لأنه بين فيه سيرة المسلمين في المعاملة مع المشركين من أهل الحرب ، ومـع أهل العهد منهم من المستأمنين ، وأهل الذمة ، ومع المرتدين الذين هم أخبث الكـفـار بالإنكـار بـعـد الإقرار ، ومع أهل البغي الذين حالهم دون حال المشركين ، وإن كانوا جاهـلـيـن ، وفي التأويل مبطلين" (المبسوط:10/2).

-3-

كان الإمام محمد بن الحسن أول من أفرد للعلاقـات الـدولـية في الإسلام مؤلـفـات خـاصـة يتناول فيها أحكام الجهاد والحرب ، وأحكـام الصلح والمعـاهـدات ، وأحـكـام الأمـان ، وإرسال السفراء والمبعوثين ، وآثار قيام الحرب ، وسياسة المسلمين في تنظيم الحرب ، وما يجوز وما لا يجوز في ذلك كله... الخ. وله في هذا كتابان : أحدهما "السير الصغير" الذي كتبه أولاً ، وقد رواه عن أبي يوسف وقرأه عـلـيـه توثـقـاً من النص وصحة نسبة الرأي ، والثاني "السير الكبير" وهو أوسع من الأول ، كما أنه من آخر كتب الإمام محمد تأليفاً ، وفيه إفاضة وشرح أكثر وأوسع كما يظهر من عنوان الكتابـيـن ومـن مـادتـهـمـا مـن خـلال الشروح التي وصلتنا وفي هذه الكلمة التعريفية بالكتاب ، نخص فيها كتاب "السير الكبير" ومعه الشرح الممتع القيم الذي وضعه عليه شمس الأئمـة الـسـرخـسـي المـتـوفـى في الـقـرن الخامس الهجري ما بين (483-490هـ).

-4-

وعن سبب تأليف هذا الكتاب يقول السرخسي : "إن السير الصغير وقع في يد عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي - عالم أهل

الشام - فقال : لمَن هذا الكتاب ؟ فقيل : لمحمد العراقي. فقال : وما لأهل العراق والتصنيف في هذا الباب ؛ فإنه لا علم لهم بالسير. ومغازي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه كانت من جانب الشام والحجاز دون العراق ، فإنها محدثة فتحاً. فبلغ ذلك محمداً ، فغاظه ذلك ، وفرغ نـفـسـه حتى صنف هذا الكتاب.
فحكي أنه لما نظر فيه الأوزاعي قال : لولا ما ضمنه من الأحاديث لقلت إنه يضع العلم من عند نفسه ، وإن الله عين جهة إصابة الجواب في رأيه. صدق الله العظيم : ((وفوق كل ذي علم عليم)) (شرح السير الكبير:1/3). ويناقش الـشيـخ محمد أبـو زهـرة وغـيـره مـن الباحثين هذا السبب لتأليف الكتاب ويرده ؛ إذ لا مجال لتصديقه ، لأن الإمام الأوزاعي توفي سنة (157هـ) والإمام محمد ولد سنة (132هـ) ، فـيـكـون الأوزاعي قد توفي ومحمد عمره خمس وعشرون سنة ، ومكث محمد نحو اثنتين وثلاثين سنة لا يؤلف ، إذ إنه توفي سنة (189) أي بعد الأوزاعي باثنتين وثلاثين سنة ، وهذا غـيـر معـقـول ولا مقبول ، ولا يتفق مع تاريخ الكتاب ولا مع حياة محمد - رضى الله عنه -.
وعلى ذلك فإن كلام السرخسي عن سبب تأليف الكتاب غير مقبول ، وقد يوجه توجيهاً صحيحاً بأن المقصود "السير الصغير" ، أو أن نقول إن المراد بكلام الأوزاعي هو "الرد على سير الأوزاعي" لأبي يوسف وليس "السير الكبير".
وقد نكون في غنى عن هذا كله ، إذا علمنا شغف محمد - رحمه الله - بالعلم والتأليف ، وأن ذلك كان تلبية لحاجة العصر الذي عاش فيه ، فكان من الواجب الملح بيان أحكام الإسلام في التعامل مع الآخرين ، والمسلمون يقومون بواجب الجهاد ، فكـتـب "الـسـيـر الصغير" أولاً ، ثم أوسع هذا الموضوع بحثاً في "السير الكبير".

-5-

ولبيان قيمة هذا الكتاب وأهميته نذكر أن محمداً - رحمه الله - لما فرغ من الكتاب أمر أن يكتب هذا الكتاب في ستين دفتراً ، وأن يحمل على عجلة إلى باب الـخـلـيـفـة ، فـقـيـل للخليفة : قد

صنف محمد كتاباً يحمل على العجلة إلى الباب. فأعـجـبـه ذلك وعدَّه من مفاخر أيامه. فلما نظر فيه ازداد إعجابه به. ثم بعث أولاده إلى مجلس محمد - رحمه الله - ليسمعوا منه هذا الكتاب.
ومن الطريف في نقل الكتاب وروايته : أن إسماعيل بن توبة الـقـزويـنـي - مـؤدب أولاد الخليفة - كان يحضر معهم ليحفظهم كالرقيب ، فسمع الكتاب ، ثم اتفق أن لم يبقَ من الرواة إلا إسماعيل بن توبة وأبو سليمان الجوزجاني ، فهما رويا عنه هذا الكتاب. شرح السير الكبير : (شرح السير الكبير:1/3-4).
* وقد أثنى على هذا الكتاب كل الباحثين المهـتـمـين بـالـعلاقـات الـدولـيـة في الإسلام ، ووجدوا فيه علماً غزيراً ، وأسلوباً ممتعاً ، وفقهاً أصيلاً ، فقال الدكتور نجيب أرمنازي في كتاب "الشرع الدولي في الإسلام " (ص45) : "هـو كـتاب غـزيـر المادة ، جم الفوائد ، قد استوعب أصول هذا العلم ، واستقصى غرائب مسائله ، ولم يقتصر فيه على ما ذهب إليه أعلام المذهب الحنفي ، بل أورد كثيراً من مذاهب الآخرين وناقش أصحابها في حججهم. وطريق محمد في الترجيح في هذا الكتاب هو أنه نظر فيما اختلف فيـه أهـل العراق وأهل الشام وأهل الحجاز ، فرجح ما اتفق عليه فريقان ، فأخذ به دون ما تفرد به فريق واحد ، وهذا خلاف ما هو ظاهر المذهب في الترجيح عند الحنفية".
* وتحدث الدكتور محمد الدسوقي في أطروحته (الإمام محمد بن الحسن الشيباني وأثره في الفقه الإسلامي) فقال : "وأما كتاب "السير الكبير" فهو عمل فريد في بابه ، لم يؤلف فقيه غير الإمام محمد مثله في موضوعه ، سواء الذين تقدموا عليه أو تأخروا عنه. وليس معنى هذا أن الإمام محمداً اخترع كتابه اختراعاً ، فالمعروف أن بعض الفقهاء الذين تتلمذ لهم محمد تحدثوا عن السير ، كالإمام أبى حنيفة والأوزاعي وأبي يوسف ، ولكن كل ما جاء عن هؤلاء الأئمة في هذا الموضوع كان يدور في نطاق محدود من القضايا ، وكان أشبه بالمحاولات الأولى بالنسبة للبحث الشامل المفصل الذي كتبه الإمام محمد ، فاستحق أن يكون - عن جدارة - رائد التفكير في القانون الدولي في العالم كله.

لقد استقى الإمام محمد مادة كتابه من الآثار والأخبار من علماء عصره فقهاء ومحدثين ، وكانت هذه المادة الأساس الذي أقام عليه محمد عمله المبتكر الرائع الذي يشهد له بغزارة العلم وعمق التفكير ، وشمول النظرة ، ودقة التفصيل والتبويب والتفريع".

* وهذا كله يعلي من شأن هذا الكتاب وقيمته ، فهو بحق أول كتاب في الـقانـون الـدولـي العام والخاص في العالم كله ، وهذا يضع تاج فخار على هامة الإمام محمد ، ويجعله رائد القانون الدولي ، قبل أن يتفطن علماء القانون الوضعي إلى أهمية هذا الـفـرع مـن الـقـانـون والكتابة فيه ، مما جعلهم يلتقون على إنشاء جمعية دولية باسم "جمعية الشيباني للقانون الدولي" في "غوتنجن" بألمانيا ، وقد انتُخب لرئاستها آنذاك (1955م) الـفقـيـه المـصـري الدكتور عبد الحميد بدوي ، وتهدف هذه الجمعية إلى التعريف بالشيباني وإظهار آرائه ونشر مؤلفاته المتعلقة بأحكام القانون الدولي الإسلامي.

ثم أعاد تنظيم هذه الجمعية المستشرق العراقي الصلـيـبـي مجــيـد خـدوري ، الذي أخرج كتاب "السير الكبير" في طبعة جديدة ، وهو مأخوذ مـن كـتـاب "الأصـل" للإمام محمد ، وهو يختلف عن كتاب "السير الكبير" الذي وضعه مستقلاً بهذا الاسم وشرحه السرخسي ، وهذا يسلمنا إلى بيان شروح وطبعات الكتاب واللغات التي نقل إليها.

-6-

ذكر بعض مَن كتب عن الإمام محمد بن الحسن أن "السير الكبير" توجد منه نسخ خطية في مكتبات إستانبول في تركيا.
ولكن المعروف أنه لا يوجد مستقلاً ، وإنما توجد نسخ له ممزوجة مع شروحه ، ومن ذلك:
شرح الإمام محمد بن أحمد السرخسي (المتوفى سنة 495هـ) ، وهذا الشرح له نسخ كثيرة في برلين وفيينا وليدن وباريس وفي مكتبات تركيا : عاشر أفندي ، وعاطف أفندي ، ونور عثمانية...
وقد ذكر أماكن وجوده فيها المستشرق بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" (3/255) من الترجمة العربية.

وقد طبع هذا الشرح في حيدر آباد في الهند عام (1936م) ويـقـع في أربـع مجلـدات. كما نشرته جامعة الدول العربية (معهد المخطوطات) بالقاهرة ما بين عامي (1971-1972م) بتحقيق صلاح الدين المنجد للأجزاء الثلاثة الأولى ، ثم أكمل بتحقيق الجـزئـيـن الـرابـع والخامس ، فاكتمل في خمسة أجزاء ضخمة ، ثم صُورت عنها طبعة جديدة.
وقامت جامعة القاهرة بإخراج طبعـة أخـرى محـقـقـة له ، عـام (1958م) ، فـصـدر عـن مطبعتها الجزء الأول فقط وقد كـتـب التمهـيـد والـتعليـقـات الشيخ محمد أبو زهرة وحقق النصوص ووضع فهارسه مصطفى زيد ، ولم يكتمل هذا المشروع للجامعة.
وللسير الكبير شرح آخر بعنوان "التيسير على السير الكبير" بقلم محمد المنيب العينتابي ، ومنه نسخة خطية بمكتبة عارف حكمة بالمدينة النبوية. وقد ترجم شرح السرخسي وأصله إلى لغات أخرى ، فقام الشيخ محمد المنيب العينتابي بتـرجمتـه إلى اللغة التركية في عهد السلطان محمود خان العثماني ؛ ليكون مصدراً من مصادر معرفة أحكام الجهاد في الإسلام ، وليـسـهـل على قـواد الجـيـش والمجاهـديـن في الدولة معرفة هذه الأحكـام في الـدولـة العثمانية. وصدرت هذه الترجمة عام (1241هـ) في إسـتـانـبـول ، وتقع في مجلدين اثنين.
وترجمته منظمة اليونسكو إلى اللغة الفرنسية ، ونقل إليها جـزءاً مـنـه المستـشـرق "دي كررواي" ونشره في جريدة آسية، في الأعوام (1851 ، 1852،1853م).

-7-

وقد لا يساعدنا المقام على أن نعرض بالتفصيل لكل أبواب الكتاب بأجزائه الخمسة ، ولا تقديم دراسة وافية عنها ، فحسبنا أن نشير إلى عدد أبواب كل جزء وأهم محـتـويـاتـه ، لعل ذلك يكون عاملاً يدفع إلى الاهتمام بهذا الكتاب النفيس ، الذي لا يغني في التعريف به كتابة مقال في مجلة ، مهما يكن الجهد والاستيعاب.

يضم الجزء الأول من الكتاب خمسين باباً تنتظم (562) مسألة ، تقع بعد المقدمة في (370) صفحة ، يليها فهارس للأحاديث والأعلام والأماكن والاستدراكات والتصويبات.
ومن الأبواب التي يشتمل عليها هذا الجزء : فضيلة الرباط في سبيل الله ، الإمارة ووصايا الأمراء ، مبعث السرايا ، الرايات والألوية ، القتال في الأشهر الحرم ، السلاح والفروسية ، الحرب وكيف يعبأ لها ، من أسلم في دار الحرب ، أموال المـعـاهـديـن ، الـجـهـاد مع الأمراء ، الخُمس والصدقة ، ما يجب من طاعة ولي الأمر وما لا يجب، قتال النسـاء مـع الـرجال وشـهـودهـن الـحـرب، سجدة الشكر وصلاة الخوف ، الأمان وفيه بحوث كثيرة.
ويقع الجزء الثاني في (818) صـفـحـة يلـيها فهارس متنوعة كالتي سبقت الإشارة إليها ، وهو يضم الأبواب من (51-90) وتشتمل عـلى المـسـائـل مـن (563-1466) ، وفيه تـتمة أبواب الأمان المتنوعة الشاملة لشروط الأمان وأركانه ومن يعقده ، والحـديـث عن الـرسـل (لسفراء) والمستأمنين والحكم في أهل الحرب ، ثم أبواب الأنفال ، مما كان خالصاً للرسول -صلى الله علـيـه وسلـم-، والنـفـل في دار الحـرب، ومـا يـبـطل فيه النفل وما لا يبطل، والسلب والنفل لأهل الذمة والعبيد ، والاستثناء فيه ، وغير ذلك مما يتصل بهذه المباحث المهمة في سياسة المسلمين الحربية.
وأما الجزء الثالث فيقع في (315) صفحة ويتضمن الأبواب (91-113) ، وفيه تتمة أبواب الأنفال والسهمان للخيل وغيرهـا في دار الإسلام ودار الـحـرب ، ودخـول المسـلـمـين دار الحرب ، والغنيمة ، وكيفية قسمة الغنيمة وبيان من يستحقها، وقسمة الخمس والغنائم.. الخ.
ويبحث الجزء الرابع في الأبواب (114-159) بمسائل كثيرة متنوعة ، داخل الأبواب عن : الأسارى والحكم فيهم ، والتجار الذين يدخلون دار الحرب ، وما جاء في الخيانة في الغنيمة ، والسبايا والنفقة عليهم والعدة ، وهدية أهل الحرب ، وما يكون إحرازاً للغنيمة وما لا يكون ، ثم ما يصيبه الأسراء والذين أسلموا من دار الحرب ، والمستأمنين يأخذون أموال أهل الحرب ، وما

يحرزه المشركون ويظهرون عليه من أموال المسلمين ، والفداء ، والاستعانة بأهل الشرك ، وما يـكـره إدخـالـه دار الحرب وما لا يكره ، وما قتله من أهل الحرب وما لا يكره وكيفية سياسة الحرب بما فيها من قواعد إسلامية رائعة... الخ.

وينتهي هذا السفر النفيس بالجزء الخامس الـذي يـقـع في حـوالـي (650) صفـحـة تضم الأبواب (160-218) وفيها المسائل من (3361-4572) وهو يتضمن أبواباً مهمة مثل : أبواب الموادعة، نكاح أهل الحرب، إثبات النسب من أهل الحرب ومن السبايا ، الحدود في دار الحرب ، ما يجب من النصرة للمستأمنين وأهل الذمة ، معاملة المسلم المستأمن مع أهل الحرب في دار الحرب ، مواريث القتلى ، باب الأسير والمفقود ، باب المرتد في دار الحرب وما يتعلق بالمرتدين من أحـكـام مخـتـلـفـة ، العين (الجاسوس) ، ما يختلف أهل الحرب وأهل الذمة في الشهادتين والوصايا ، من أسـلـم علـى شيء فهو له ، الحبيس في سبيل الله ، الوصية بالمال في سبيل الله ، باب العشور في أهل الحرب ، باب الجزية ، الخمس من المعدن والركاز يصاب في دار الحرب ، ما يصدق فيه المسلم على إسلام الكافر ، الدعاء إلى الإسلام ، باب الاستبراء ، خروج العبد بأمان من دار الحرب ، العبد يعتق بالإسلام أو لا يعتق ؟.

-8-

وإذا أردنا أن نوجز ما في الكتاب باختصار شديد ، نقول : إنـه يـضـع أسـس الـعلاقات الدولية في حال السلم والحرب ، فيبين معنى السير والجهاد ، وأهمية الجهاد وغايته ، ويحدد علاقة أهل الذمة بالمسلمين ، وما يخصهم من أحكام ، وينظم حالة السلم ، ويضع أسس التنظيم والعلاقات في حال الحرب مبيناً مشروعية الجهاد ، وإقلـيم الـدولـة ومـدى سريان النصوص القانونية فيها من حيث الزمان والمكان ، وسياسة الحــرب في الإسلام وتحديد المقاتلين ، وبدء الدعوة للحربيين قبل الحرب ، وما يتبع ذلك من آثار في الأموال والأشخاص ، كما يحدد العلاقة مع المحايدين ، وينظم حال الحياد ، ويفـصـل أحكام المعاهدات والصلح والمستأمنين... وغير ذلك مما يبحثه اليوم علماء القانون الدولي.

ويضيق بنا المقام لو أردنا أن نذكر نماذج مما كتبه الإمام محمد بن الحسن في هذا الموضوع ، وما علق عليه وشرحه شمس الأئمة السرخسي ، كما أن ذلك لا يغنينا عن الرجوع إلى هذا الكتاب القيم الممتع لدراسته دراسة متأنية جادة ، للاطلاع على أثر نفيس من أقدم ما كُتب في الفقه الإسلامي بعامة وفي فقه المعاملات أو العلاقات الدولية بخاصة ، لبيان مدى ما بذل أسلافنا - رحمهم الله - من جهد بالغ في بيان أحكام هذه الشريعة التـي جعلها الله - تعالى - منهجاً لحياتنا ، وسبباً لعزتنا ومكانتنا.

-9-

ومع أن بعض المهتمين بنشر الثقافة الإسلامية وكتب السلف بذلوا جهودا طـيـبـة في نشر كثير من الكنوز الفقهية ، إلا أن المجال لا يزال متسعاً لبذل جهود أكـثـر ، وخـاصـة في مجال إخراج تراث الإمام محمد بعامة ، وكتابه "السير الكبير" بخاصة ، وما أجدر هذا الكتاب أن ينشر نشرة ثانية تضيف إلى ما فيه من تحقيق ومقابلة للنـصـوص تـخـريـجـاً للأحاديث والآثار الكثيرة التي استشهد بها المصنف والشارح - رحـمـهـمـا الله - وعمــل فهارس موضوعية تساعد على الإفادة من الكتاب.

-10-

وفي ختام هذه الكلمة التعريفية بالكاتب وبالكتاب ، أشير إلى بعض المراجع التي ترجمت للإمام محمد ودرست كتابه ، وقد أفدت منها في هذه المقالة السريعة ، وهذه أهمها :

- الآثار ، لمحمد بن الحسن الشيباني ، ومعه الإيثار برجال الآثار للـحـافـظ ابـن حجـر العسقلاني ، (طبع كراتشي).
- أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري (مصورة عن طبعة الهند).
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ، لابن عبد البر (بيروت).
- بلوغ الأماني في سير الإمام محمد بن الحسن الشيباني (طبع مصر).
- تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان.(دار المعارف).
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي. (بيروت).

-الجامع الصغير للإمام محمد مع النافع الكبير ، للكنوي (طبع الباكستان).
- الجواهر المضيّسة في طبقات الحنفية ، للقرشي (طبع الحلبي بمصر).
- شرح السير الكبير للسرخسي (طبعة جامعة القاهرة ، وطبعة معهد المخطوطات).
- الشرع الدولي في الإسلام ، للدكتور نجيب أرمنازي. (طبعة دمشق).
- طبقات ابن سعد (دار صادر).
- المبسوط للسرخسي (مصورة عن الطبعة الأولى المصرية).
- المحبَّر ، لابن حبيب (بيروت ، مصورة عن طبعة الهند).
- محمد بن الحسن الشيباني وأثره في الفقه الإسلامي للدكتور محمد الدسوقي (طبع قطر).
- مناقب أبي حنيفة وصاحبيه ، للإمام الذهبي ، نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية (طبع القاهرة).
- منهج الإسلام في الحرب والسلام ، عثمان جمعة ضميرية (دار الأرقم ، الكويت).
- الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، للدكتور محمد حميد الله.

***

لم أعطِ زمام قلبي لأحد
حللت العقدة في وجه العمل بنفسي
اعتمدت على غير الله مرة
فسقطتّ من مقامي مئتي مرة
محمد إقبال

خواطر في الدعوة

الحد الأدنى

محمد العبدة

إذا كان واقع المسلمين في هذه الأيام يضطرهم للمطالبة بالحد الأدنى من التعاون والتنسيق، خوفاً من البديل وهو التشهير والـتمـزيـق، وإذا تحقـق هذا التعاون اعتبر من المكاسب التي يجب المحافظة عليها والتمسك بها ، ويقولون. هـذا هو الواقع ، ويجب أن نعترف به ، ولا نكون مكابرين خياليين نسرح بالأحلام.
إذا كان هذا هو الواقع فنحن نوافقهم ولكن بشرط أن يكون هذا الشعار مؤقتاً ؛ لأن أوضاع المسلمين فعلاً تحتاج إلى بداية مثل هذه ، ولكن الذي نخشاه ونتخوفه هو أن يرضوا بهذا الواقع ، ويستمر هذا الشعار فترة طويلة فتموت الهمم ، وتسـتـرخـي العزائم ، ويستمرئ المسلمون هذه الحالة فلا يقومون بالأعمال العظيمة المطلوبة منهم في هـذا الـعصـر بالذات ، فنحن نمر بفترات حرجة لا نحتاج إلى التعاون والتنسيق بل إلى الانصهار في عـمـل كـبـيـر يعيد للمسلم عزته وكرامته، ويشعره بالثقة المفقودة، يعيد إليه الأمل والرجاء ، إننا نحتاج إلى إنكار للذات بالدرجة الأولى ، فهو العقبة الكؤود كما يظهر لي ، وتأتي الخطوة التالية بالعمل الدؤوب الذي لا يعرف الراحة، وإعمال الفـكـر في مسـتـقـبـل المسـلـمـيـن والإسلام، والطرق الصحيحة التي توحد ولا تفرق.
إن الساعات الحاسمة في التاريخ هي الساعات الـتـي تـتـحول فيـهـا الأمة كلها إلى (ورشة عمل) ، كلٌّ له مكانه وكل له مكانته ، يشعر كل فرد أنه يشارك في البناء بل إنه ضروري لهذا البناء ، هكذا قام المجتمع الإسلامي الأول عندما شارك المـسـلـمـون كـلـهـم في بـنـاء المسجد بمن فيهم قائد هذا المجتمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وعندما استـقـبل الأنصار إخوانهم المهاجرين وتنازلوا عن شطر أموالهم ، ونـفـذوا هذا عمـلـيـاً ولم يـكـتـفـوا بالأدبيات والكلام عن الأخوة الإسلامية أو (يجب علينا أن نبني مسجداً !).
وإذا كنا نتكلم عن الحد الأدنى فإن الغربيين قد انتهوا من بحث أمورهم الكبيرة ، أمورهم الاستراتيجية وفي اجتماعاتهم الآن يناقشون المشاكل الـصغيـرة التـي لا تـزال عـالـقـة مثل مشكلة (الزبدة) كيف تصدر وتستورد ، وكيف يصرفون الفائض منها.

وإحياء الأمة ودعوتها إلى استئناف دورها الخيري لا يتأتى إلا بأعمال كبيرة ، وإن الحد الأدنى إذا استمر لا ينتج إلا الضعف ، الذي يستطيع العيش طويلاً ، ولكنه يبقى ضعفاً ، وأخشى أن يسري هذا الداء حتى إلى عباداتنا وأعمالنا فلا نقـوم إلا بـالـحـد الأدنـى مـن المطلوب ، وتمر السنون دون أن نحقق عملاً كبيراً يرضي الله ويغيظ أعداء الإسلام ويشفي صدور قوم مؤمنين.
لا شك أن الخطوة الأولى هي التعاون الـصـادق، ولـكـن كـم نـتـمـنـى أن يتلو هذه الخطوة خطوات.

نموذج اتخاذ القرار

ف.فروم [1]

عرض وتحليل : طارق عبد الحليم

مقدمة :

يعتمد نجاح قيادة ما في أداء مـهـامـهـا الموكولة إليها على عدة عناصر متداخلة ، تتفاعل لتحقق الهدف الذي ينشده القائمون على هذا العمل ، من تلك العناصر :

1- كفاءة (2) القيادة وفعاليتها (3) في الأداء والمتابعة.
2 - كفاءة الأتباع وفعاليتهم في التلقي والأداء.
3 - درجة الثقة المتبادلة بين الطرفين.
4 - المناسبة (الزمانية والمكانية) للمهام المطلوبة في المواقف المختلفة.
5- الإمكانيات المتاحة اللازمة لأداء الحد الأدنى على أقل تقدير.

ويندرج تحت كل عنصر من تلك العناصر المذكورة عدد من العوامل الفرعية التي تؤثر على الأداء الناجح الفعال لكل من القـيـادة مـن جـهـة ، والمجموعة العاملة من جهة أخرى ، فعلى سبيل المثال ، تتحدد كفاءة الأتباع حسب (الـمـسـتـوى العلمي - درجة التخصص- الصفات الشخصية كدرجة الانضباط.. - درجة التآلف بيد المجموعة - الخلفية النفسية والاجتماعية... الخ).
وحديثنا في هذا البحث يخص أحد مركبـات الـعـنـصـر الأول ، أعـنـي "كـفـاءة القيادة" وبالتحديد عملية " اتخاذ القرار" ومدى

الحاجة إلى المشاركة فيه بين القـيـادة والأتباع في المواقف المختلفة من خلال نموذج "اتخاذ القرار" الذي قدمه للمرة الأولى الـعالـم الأمريكي فيكتور فروم في مجال علم المنظمات والإدارة في ربـيع عـام 1973، ثـم طـورهـا بـعـد ذلك بمعاونة آرثر ييتون. والنموذج يصلح للتطبيق في مستويات الإدارة كافة بـواسـطـة المـسـؤول سواء كان القائد مع بقية أفراد مجلس الإدارة مثلاً ، أو كان قائداً تنفيذياً مع أفراد مجموعته العاملة.

النظرية :

تقوم تلك النظرية على فرضية أن "مدى الحاجة إلى المشاركة بين القيادة والأتباع في اتخاذ قرار ما تتحدد حسب الموقف ومتغيراته المختلفة ، والتي تملـى بالتالي نمطاً قيادياً محدداً يؤدي إلى أفضل النتائج ويعتمد النموذج المقدم على ثلاث قـواعـد يتم خلالها اختيار ذلك النمط به وهي :

أولاً : الأسس التي يتم عليها تحديد متغيرات الموقف.
ثانياً : الأنماط القيادية المختلفة.
ثالثاً : متغيرات الموقف.

وعلى أساس التفاعل بين تلك العوامل الثلاثة يمكن للقـيـادة تحديد النمط المطلوب في هذا الموقف المحدد ، وسنتناول باختصار ذكر تلك القواعد.

أولاً : أسس اختيار وتعيين متغيرات الموقف :

- نوعية المشكلة المراد البت فيها (كمية أم كيفية ؟).
- درجة اطلاع القائد وفهمه للمشكلة القائمة نظرياً وعملياً.
- درجة اطلاع الأتباع وفهمهم للمشكلة القائمة.
- درجة إمكانية الحصول على معلومات من خارج المجموعة (بشأن المشكلة).
- تقبل الأفراد لقرارات القيادة وطاعتهم لها.
- درجة الإحساس بالولاء والانتماء للشركة أو المجموعة.
- درجة التعايش والتآلف بين الأتباع.

وتهدف هذه الأسس بجملتها إلى المحافظة على عدة مبادئ منها : (مبدأ التآلف) ، (مبدأ التخصص) ، (مبدأ الحرص على

الكيف) ، وعلى أساسـهـا يـتـم اختيار عدد من الأسئلة التي تمثل متغيرات الموقف الراهن.

ثانياً : أنماط القيادة :

تـتـحـدد الأنـمـاط القـيـاديـة بـثـلاثـة أنـمـاط (1،2،3)، يندرج تحتها خمسة أشكال من التصرفات القيادية المختلفة (أ ، ب ، ج ، د ، هـ).

1 - قيادة موجهة متحكمة (Autocratic):

أ- تتخذ القرار بنفسك وحسب معلوماتك الخاصة..

ب - تتخذ القرار بنفسك بعد جمع المعلومات اللازمة من أتباعك.

2 - قيادة مشاورة (Consultative) :

ج - تشاور أتباعك بطريقة فردية لمعرفة رأيهم ومعلوماتهم ثم تصدر قرارك بنفسك.

د - تشاور أتباعك بشكل جماعي لاتخاذ القرار بنفسك بعد المشاورة.

3 - قيادة مشاركة (Participation) :

- تصدر القرار بشكل جماعي بعد المشاورة وأخذ الأصوات.

ثالثاً - متغيرات الموقف :

وفي عشرة أسئلة بنيت على الأسس التي قدمناها في القاعدة الأولى :

1 - في حالة تقبُّل الأفراد للقرار الفردي ، هل تتأثر النتائج ذاتها بطريقة اتخاذ القرار ؟

2 - هل لدى القائد العلم الكافي لاتخاذ قرار كفء ؟

3 - هل تتوفر لدى الأتباع معلومات (زائدة على معلومات القيادة) تؤدي إلى تحسين الأداء ؟

4 - هل يعرف القائد نوعية المعلومات المطلوبة ، وممن يحصل عليها ، وكيفية جمعها ؟

5 - هل من الضروري أن تتوفر معلومات إضافية لصالح القرار داخل حيز المجموعة ككل ؟

6 - هل من الممكن جمع معلومات إضافية من مصادر خارجية قبل اتخاذ القرار ؟

7 - هل تقبُّل القرار من الأتباع مهم وحاسم لضمان حسن التطبيق ؟
8 - إذا كان من المحتم اتخاذ القرار بطريـقـة فـرديـة (بـنفـسـك) هل أنت متأكد من تقبل الأتباع له ؟
9 - هل يمكن الوثوق بقدرة الأتباع على اتخاذ قرارات مهمة تتلاءم وأهداف العمل بشكل عام ؟
10 - هل من المحتمل حدوث خلافات بين الأتباع على نوعية الحل ؟

الطريقة :

يمكن اختيار النمط الأمثل للتصرف القيادي (وبـالـتـالي تحـديـد الأنـمـاط الممكنة في حالة القرارات طويلة المدى) في موقف ما بأن يقوم القائد المسؤول بالإجابة عن الأسئلة السابقة بادئاً بالسؤال الأول... وحسب الإجابة بنعم أو لا ينتقل إلى السؤال التالي حتى يصل - عن طريق الشكل المرفق على هيئة شجرة - ليحدد في النهاية النمط المناسب لاتخاذ القرار.
فمثلاً : في حالة تقبل الأفراد للقرار.
- ولكن النتائج ذاتها تتأثر بطريقة اتخاذ القرار (الفردية أو الجماعية) السؤال رقم (1) - "نعم" ينتقل المسؤول إلى السؤال رقم (2).
- أما إذا كانت النتائج لا تتأثر بطريقة اتخاذ القرار السؤال - "لا" ينتقل المسؤول إلى السؤال رقم (7) مباشرة.
وعند الانتقال إلى السؤال رقم (7) :
- هل تقبل الأفراد للقرار ورضاهم به مهم وحاسم لضمان حسن التطبيق ؟
- فإن كانت الإجابة بنعم... ينتقل المسؤول إلى السؤال رقم (8).
- وإذا كانت الإجابة لا ؛ يكون النمط المناسب هو "اتخذ القرار بنفسك وبمعلوماتك" في حالة القرار ذي التأثير قصير المدى... أو الأنماط ب ، ج ، د ، هـ على التوالي إذا كان القرار ذا تأثير طويل المدى وهكذا.
ومما تجدر الإشارة إليه أن القرارات ذات التأثـيـر الـمـحـدد (قصير المدى) تتحدد بالنمط المذكور أولاً في النموذج... ولكن

حسب درجة نضوج الأتباع ومع مرور الزمن فإنه من المناسب العدول إلى الأنماط المجاورة على التوالي (بين القوسين) خاصة فيما يخص القرارات ذات التأثير المستمر (طويل المدى).

مثال :

وحتى يسهل الأمر على القارئ ، نعتبر مثالاً يعرض طريقة استخدام النموذج للوصول إلى السلوك القيادي الأمثل.

1- لنفترض أن مديراً لإحدى الإدارات بشركة ما ، يعمل تحت إمرته عشرة من العاملين من ذوي الخبرة المناسبة.

2 - يتمتع العاملون العشرة بثقة المدير بكفاءتهم وحسمن أدائهم للعمل بشكل متكافئ.

3 - أرسلت الإدارة العامة للشركة تطلب ترشيح ثلاثة أفراد من تلك الإدارة لأداء مهمة بالخارج لفترة من الزمان.

4 - يعتبر العاملون ذلك السفر أمراً غير مرغوب فيه ، كما يعلم المدير ذلك حيث يحتاج السفر لتغييرات جذرية في أوضاع الحياة الخاصة للمرشح.

أ - أيتخذ القرار بمفرده ويحدد من يقوم بالمهمة ؟.

ب - أم يشاور العاملين معه فيمن يود الذهاب ؟.

ج - أم يجمع العاملين ويتركهم يقلبون الأمر على وجوهه فيما بينهم لتحديد الأسماء المرشحة ؟.

وللوصول إلى القرار المناسب ، نرجع إلى الشكل المرفق لشجرة القرار ، والأسئلة العشرة.

- السؤال الأول : هل تتوقف النتائج (أداء العمل بالخارج) على طريقة اتخاذ القرار ؟.

والجواب : لا ، حيث إن العاملين العشرة متساوون في الكفاءة ، والخبرة ، ويتمتعون بثقة الإدارة بقدرتهم على حسن الأداء.

- انتقل إلى السؤال رقم (7).

- السؤال السابع : هل تقبل العاملين المرشحين للقرار مهم وحاسم في حسن التطبيق للعمل والقرار ؟.

والجواب : نعم ، حيث إن الـعـامـل حـيـن يـؤدي أمراً لا يرغب فيه - حتى مع كفاءته وقدرته وخبرته - لا يكون على المستوى المطلوب من العمل.
- انتقل إلى السؤال رقم (8).
- السؤال الثامن : في حالة اتـخـاذ الـقـرار بـشـكـل فـردي ، هل الإدارة متأكدة من تقبل العاملين لذلك القرار دون معارضة ؟.
والجواب : لا ، حيث إن القرار بـالـسفـر سـيـكـون لـه أثر في الحياة الشخصية للمرشح ، والاحتمال الأكبر أن يلقى الترشيح معارضة ، ما لم تكن الموافقة مسبقة عليه.
وبناءً على ذلك التحليل نصل إلى النمط (هـ) والـذي يـعـني : "أن يعـقـد الـمدير اجتماعاً حيث يعرض المسألة على العاملين معه ، ويطرح الترشيح للمناقشة حتى يـصـل إلى اتـفـاق على الأسماء الثلاثة.

التعليق :

تعتبر هذه المحاولة التي قدمها "فروم" لبناء القرار على طريقة أكثر عقلية وتحديداً ودقة من باب النماذج (Model) التي يمكن احتذاؤها.
ولا يزعم المؤلف - كما لا نزعم نحن - أنها أنضج ما يمكن تقديمه في هذا المجال ، بل ولا أنها تغطي المواقف والاحتمالات كافة التي يمكن أن تواجهها قيادة ما.
ولكن الجديد الذي تقدمه النظرية هو تلك الوسيلة العملية التي يمكن بواسطـتها أن يـضـع المسؤول المتغيرات كافة التي يواجهها على الورق ليكون اختياره أكثر تحديداً ودقة ، دون أن يهمل عاملاً ما ، أو أن يبني قراره على مجرد النتائج التي يهتدي إليها بـعقـلـه بـعـد تقليب الأمر بينه وبين نفسه مما قد لا يستغرق منه سوى لحظات قليلة ، فتارة يشاور مـن معه ، في حين أن المشاورة قد لا تكون في صالح القرار أو الجماعة ككل ، وتارات يتخطى الجميع ليتخذ قراره بنفسه ، في حين هو أقل علماً بالمشكلة من بعض أتباعه الذين تـتـوفر لديهم المعلومات الكافية والتخصص الدقيق.
ومما لا يخفى أنه ليس من المعقول المشاورة في كل أمر صغير أو كبير ، كما أنه لـيـس مـن المشروع الاستقلال بالرأي

والاستبداد بالقرار على طول الطريق ، ولنا في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسوة حسنة في ذلك الأمر وحدوده حين أخذ بمشورة سعد بن معاذ في بناء العريش في غزوة بدر من حيث هو أهل أعلم وثقة بهذه الأمور ، كما استشار -صـلـى الله عليه وسلم- الصحابة والأنصار على وجه التحديد قـبـل الإقـدام على الـحـرب في بـدر ، حيث إن موافقتهم كان لها وزن خاص في النـتـائج المرتقبة ، بينما قرر -صلى الله عليه وسلم- بنفسه في حادثة نعيم بن مسعود وإرسالـه ليخذل عن المسلمين إبان غزوة الخندق.

وما يعنينا في هذا الموضع أن نشير إلى أن الأسس التي يقوم عليها تحديد متغيرات الموقف - والتي قدمناها في القاعدة الأولى - ومتـغـيرات الموقف نفسها (والتي قدمناها في الأسئلة العشرة السابقة) تخضع للتغيير والتبديل حـسـب نوعية العمل وحسب البيئة التي يراد تطبيق النموذج عليها ، بحيث تشمل في كل حالـة ما يناسبها ، وما يغطي احتياجات القيادة ، وقدرات الأتباع والمواقف المختلفة المحتملة.

ولا يفوتنا أن نوجه نقداً حاسماً لذلك النموذج من حيث إهماله - بشكل يكاد يكون تاماً - الحالة النفسية والدوافع الداخلية التي قد يصدر عنها القائد والأتباع على حد سواء في اتخاذ القرارات. وهو - وإن وضع بين الأسس التي يحدد عن طريقها متغيرات الموقف مبدأ "التآلف والتجانس" بين القيادة والأتباع من جهة ، وبين الأتباع بعضهم البعض من جهة أخرى ، إلا أن ذلك لا يعفي من ضرورة اعتـبـار الـدوافع الذاتية الشخصية التي توجه الأفراد حين اتخاذ قرار ما ، والذي قد يتخلى في أثره الجانب العقلي الميكانيكي الذي عالجه المؤلف في نظريته ، بل ويكاد يتحكم لحد كبير في عملية اتخاذ القرارات داخل المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية. فمثلاً : قد تقرر قيادة ما الاستغناء عن خدمات أحد أفرادهـا ، نـظـراً لـعـداء شخصي أو حالة نفسية محددة دون الدخول في تفاصيل الأسباب والدوافع ولـكـن قـد يـقـرر فـرد مـا الاستقالة من عمله والانفصال عنه لدوافع خاصة قد لا يصرح بها في غالب الأحوال. وهو الوضع الذي لم يعالجه "فروم" في نموذجه ولم

يحـسـب له حـسـابـاً في أسـسـه وقـواعـده وأسئلته على الرغم من أهميته القصوى والحاسمة.

الهوامش :

1- VROOM,H.V. (A NEW LooK AT MANAGERIAL DEClSlON MAKING) Organizational Dynamics, 1973,VOL 2,P 66-80.

وكذلك

VROOM,V&JAGO,A(On the Validity of the Vroom and Yetton Model)Journal of Applied Psychology, 1978, voL 63, P 151-162.

2 - Competence

3 - Effectiveness

يحسب أن ماله أخلده

د.مصطفى السيد

مـا أشـقـى القـيـم عـنـدمـا يصبح المال وحده لحمتها وسداها ،وأتعس بالأمم إذا بات المال عـنـدهـا مـعيار التفاضل ومنهاج التعامل!؛ به ترفع وتضع، وفيه تقدم وتؤخر، وله تسعى وتحفد. وكم تؤذي السمع، وتستدعي الازدراء قالة أقوام: "فلان رجل"، وإذا رحت تسائل هؤلاء الناس : فِيمَ استرجل فيم فلان وجدّ؟؛ أجابوا - وبئس الجواب - بثروته المالية ومكانته الاقتصادية!

وحرصاً على إثراء رصيد المسلمين بالمعرفة التاريخية، وعمارة أرواحهم بأصل القيم، تعاقب القصص القرآني عن الأمم السالفة ليكون من الروافد الفكرية لمكونات الشخصية الإسلامية.

ولــقــد ثـبـت عن الإمام أحمد -رحمه الله- حبه لقصص موسى في القرآن الكريم ، والتي توزعت فصولها هذه في كثير من آيات القرآن تحكي جهاد هذا الرسول الكريم - صلى الله عليه وعلى ســائــر الأنـبـيـاء - وكيف اصطدم بالطغيان السياسي الذي تمثله دولة فرعون ومواجهة لبذور وجذور الرأسـمـالـيــة الـقـارونـية - التي كان قارون صنمها البارز ووثنها الشامخ.

وما ذكر في القرآن من قصة قارون مع قومه تتمثل في هذه الآيات من رقم 76 إلى رقم 82 من سورة القصص.
قصة متكاملة العناصر؛ فزمن القصص - فترة رسالة موسى - صلى الله عليه وسلم-. والأماكن التي شهدت الدعوة مكانها.
ووقــائــع الـقـصــة - وإن انتهت زمناً - فهي مستمرة حياة وإيحاءً، مادام النموذج الذي عرضت له القصة قائماً في عالم الناس.
وقارون يقوم بدور الـبـطــولة بين شخصياتها المتمثلة بقومه عموماً ، ثم يتحدد هذا العموم بفئتين:
الأولـى : الدنيويون.
الثانـية : أولو العلم.
ومــوضــوع الــصــراع هو المال - مصدراً وهدفاً ومصرفاً - وتبدأ القصة معرّفة بقارون هذه الشخصية الـبـائـسة التي تعايش ربيع الزمن - وجود النبوة - ولكنها في شغل عنها بالمال جمعاً وكنزاً ، ثم تـفـتـح الآيـــات أعيننا على الأخطار التي تنتج عن رأسمالية فرد ، فما تكون عليه هذه المخاطر إذا كانت هذه الرأسمالية نظام حياة وأسلوب حكم ؟!:
وأولى هذه المخاطر الظلم : ((فَبَغَى عَلَيْهِمْ)) فالمُتيّم بالمال ، والصبّ بجمعه لا يهتم إلا بما يزيد هذا المال رقماً دون مبالاة بظلم مؤلم أو بغي مؤذٍ.
في ظل هذا الوضع تهان إنسانية الإنسان ، ويكون التعامل معه كالتعامل مع الأشياء.
والخطر الثاني : الفرح : ((إذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الفَرِحِينَ)) ، ، ويبدو أنه قد لازمه حتى صار خُلقاً له أو كما يقول أهل النحو (صفة مشبِّهة أو صيغة مبالغة) فبلغ به حد الأثرة والبطر ، كما يقول القرطبي أو بلغ الحد الذي يُنسي المنعم بالمال كما يقول صاحب "الظلال".
والـخـطـر الثالث : التوجه الكلي إلى الدنيا وحدها ، وهذا ما يستنبط بمفهوم المخالفة من قــولــه - تـعـالى -: ((وابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ)) وكما لا يظن أن ذلك دعوة إلى مقاطعة الدنيا أتـبــع (والله أعلم) لقوله : ((ولا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا))

وابتغاء وجه الله بالعمل محض الإيـمـان ، فلا يذل المرء
للمخلوقين أو يصبح تحت رحمة أهوائهم إذا اتخذ وجوههم قبلة
تحقيقاً لتوحد حب الدنيا في قلبه.
وبعد إشباع شهوة التسلط القاروني بالبغي، وإتراعها بالفرح وما
في ذلك من مكسب إعلامي يجعل من صاحبه حديث الصالونات
ومحتكراً للصفحة الاجتماعية في الجرائد والمجلات - بعد ذلك
تمضي بنا الآيات إلى الخطر الرابع وهو الفساد في الأرض : ((وَلا
تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ))، وكلمة الفساد ينطوي في أحشائها -
وينضوي تحت راياتها - شرور شتى، وخبائث عدة ؛ لأن القارونية لا
مكان في معجمها المادي للأخلاق ، بل لا ترى بأساً أن يكون في
مقتل الأخلاق دخل مدار الربح كما في عوائد الربا والفوائد كما
في دخول الميسر والخمر والدخان... الخ.
والأخطار الأربعة السابقة نتيجة منطقية لرأسمالية قارون التي
تدين بالحتمية المادية - وهذه نقطة تلاقٍ
مع الشيوعية - التي تجحد قدرة الله في الإعطاء والمنع ، والفقر
والغنى ، وترد ذلك إلى سلطان العقل وثمرة العمل ، وتبجح
قارون : ((إنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي)) - يمثل الأبوة الروحية لكل
منزع مادي ، فهو كما قال أحد المفسرين : "تَنَفَّجَ بالعلم وتعظم
به".
ومادام قارون يعتقد ألا فضل لله في إيجاد هذا المال فليس له -
بالتالي - حكم في مصاريفه وإنفاقه.
ولكن الآيات ردت على المادية القارونية بأن المادية التاريخية لم
تعصم أهلها - بالرغم مما في يدها
من علم ومال - : ((أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ
القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وأَكْثَرُ جَمْعاً)) وما على القوارين إلا
التأمل في مصائر الثراء وفعائل المال بأصحابه ؛ "إذ لو كان المال
يدل على فضل لما أهلكهم" كما يقول القرطبي.
وكأن هذه القارونية قد أخذت على نفسها الميثاق ألا تُبقي عيباً
من عيوب الثراء الذي لم يؤسس على تقوى إلا وكشفته ، ها هي
الآيات تعرض لنا المنظر الأخير للإفلاس القيمي عند قارون الذي
لم يجد ما يدلل به على حضوره ثرياً إلا خروجه في زينته (كالهر

يحكي انتفاخاً صولة الأسد) التي لم يكن الحاضر فيها منه إلا مظاهرها المادية بعد أن فارقنا إنسانيته أو فارقتنا في سعير المظالم وسعار الشهوات وسكرة الفرح.
ولقد نقلت الآيات قارون من الجريمة الفردية إلى الجريمة الاجتماعية أو بلغة الأدب - من الشخص إلى المصطلح ومن الحدث إلى الرمز (1) لتصبح القارونية عباءة لكل قارون معاصر أو ثري جَحود.
لم يكد قارون يفرغ من عرض ثروته ، واستعراض زينته إلا وقد أشعل في قلوب الدنيويين مشاعر التلهف وشعائر التأسف ألا يكون لهم مثل هذه الثروة : ((يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ)) ؛ فجاءت إغاثة اللهفان - شأنها في كل زمان ومكان - من أهل العلم الذين حذروا من خطورة النظرة السطحية للأمور ، والتي تريد الدنيا للدنيا ، ثم لفت أهل العلم الأنظار إلى ((ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ)) ، فذلكما الأمران هما المطلوبان والمحبوبان ثواب الله والإيمان به. وفي ذلك تنبيه للدنيويين على مدار التاريخ - وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - أن الثروة قد تدلف فجأة ، ولكن ترويض النفس على الإيمان والعمل الصالح منزلة ((وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ)).
وما أن يُنهي أهل العلم كلامهم ؛ حتى تغيّب الأرض قارون في ظلماتها - والعطف بالفاء - ((فَخَسَفْنَا)) يدل على سرعة الأخذ ، والعقوبة بالخسف مناسبة لسخف المعتقد. وهكذا أصبح هذا الثراء بالرشاء أجدر.
وفاجعة النهاية لا تقل في غناها المعنوي عن مأساة البداية ، فهذه الثروة الهائلة تغور في أعماق البسيطة بثوانٍ كأن لم تكن : ((فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ)) [الدخان:29].
وإذا جاء أمر فإنه يترك كل القوى اللائذة بأهل المال رغبة أو رهبة - عاجزة عن أي دور : ((فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ)) ، وبقدر ما كان الانتقام فاجعاً لقارون كان مفاجئاً للدنيويين فقد انتزعتهم النهاية من زيف أحلامهم ، وسكرة مشاعرهم لتوقفهم على الأخذ الأليم ؛
فيصرخون ((وَيْ)) لتبصر البصائر ما عجزت عنه النواظر ،

ويدركون ألا علاقة بين الهداية والثراء ؛ فالله : ((يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ويَقْدِرُ)).
كما يعترفون بفضل الله عليهم لتدارك رحمته - إياهم - بنصح أولي العلم : ((لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا)) ، كما يخرجون بتجربة ناجحة عن مستقبل الثراء الكافر : ((وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ)) ، والتعبير بالمضارع ((يُفْلِحُ)) يفيد ديمومة الحكم ما وُجدت أطراف القضية (2).
وإذا كان الفوز في الآخرة هو الفوز ، فالطريق إليه يبدأ في الدنيا بتجنُّب التجبُّر : ((لا يُرِيدُونَ عُلُواً)) ، ومجانبة الفساد بكل مضامينه : ((وَلا فَسَاداً)) ، ولئن قُدر للمبطلين أن يهيمنوا بعض الوقت فلن يتأتى لهم ذلك دائماً أو انتهاءً ؛ لأن : ((الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) [القصص:83].

الهوامش :

1- قال محمد بن حازم الباهلي - من شعراء العصر العباسى الأول (160-215) :

(قارون) عندي في الغنى مُعدم وهمتي ما فوقهـا مذهب

- وقال الأستاذ عصام العطار - من المعاصرين - :

يا لَلطغاة وما أشقى الأنام بهم عاشوا قوارين أو عاشوا فراعينا !

***

"لا تنقل إلى صديقك ما يؤلم نفسه ولا ينتفع بمعرفته ؛ فهذا فعل الأرذال ، ولا تكتمه ما يستضر بجهله ؛ فهذا فعل أهل الشر".

الإبداع والتقليد عند مقلدي الغرب

محمد حامد الأحمري

صـلـة المسلـمـين بالعالم المعاصر في شتى أنواعها لم تعد مجهولة الآثار، ونتائج هذه الصلة والتأثر بها، ما يتجاوز القدرة على التجاهل، فيعترف به المتجاهلون والغافلون رغماً عنهم فلم يعودوا قادرين على نكران من يصنع ملابسهم وسياراتهم وبعض

غذائهم ، ولكنهم في الجانب الآخر ينكرون أن يكون لعالم الاستعمار أثر في شيء من حياتهم الفكرية والسلوكية وهذا الجانب هو ما نقصد الحديث عنه هنا.
لقد اكتسبت الحياة الفكرية في الغرب خبرة طويلة في صراعها مع الدين ، ومرت قرون من الزمن الحاد المتوتر بين الدين ورجاله وبين غيرهم هدمت على أثر ذلك عروش،ودحرجت آلاف الرؤوس ، حتى كان للعلمانية النصر وأقامت النظم التي تريدها. وقد تركز عداء الدين في التعليم والثقافة الشعبية ثم الحكم فيما بعد ذلك.
إن الصراع كان في بدايته علمياً "العلم المادي التطبيقي" وفلسفياً، ثم كان فيما بعد سياسياً، وترابطت هذه العوامل "السياسة" و"العلم" و"الفلسفة" في إنتاج هذا العالم المشهود الذي طارد الدين جهده ولكن الدين لم يغب أبداً عن المعركة حتى في أيامنا هذه والتي يروج أنصار "الليبرالية" أو الاتجاه التحرري من الدين انتصارهم وانهزام عالم الغيب والدين والخرافة أو ما يسمونه "اللامعقول".
وإنه ليجدر بنا لمعرفة مكانة النصرانية الغربية أن نلاحظ الأحزاب الديموقراطية المسيحية في أوربا ، في ألمانيا ، في إيطاليا ، اليمينيون في فرنسا وما أشارت إليه الانتخابات الفرنسية الأخيرة ، فضائح القساوسة الأخيرة في أمريكا "بيكر" و"سواجارت" التي كانت معلومة من قبل ولكنها استُخدمت في الوقت المناسب لأسباب عديدة البعض يعد منها إبعاد القساوسة عن الانتخابات والحكم في أمريكا.
وقد جاء نشر أكثر فضائحهم بعد أن رشح أحد القساوسة نفسه للانتخابات. ثم الكل يعلم دور البابا الحالي في بولندا - وهو من أصل بولندي - دوره في مظاهرات واحتجاجات العمال في بولندا ، وفاليسا الزعيم العمالي البولندي المعارض للحكم الشيوعى إن هو إلا يد الكنيسة في المعسكر الشيوعي الشرقي ، البابا ينفق وقته في رعاية النصرانية ضد الشيوعية في أمريكا الجنوبية ، وإفريقية وغيرها ، يقود التيار الكاثوليكي المتحجر في لعبة الدين والسياسة الواسعة في عالمهم.

يتضح مما سبق أن الحرب الضروس ضد الدين في أوربا وأمريكا وغيرها لم تنتهِ بعدُ لصالح العلمانية وهى بالطبع ليست في صالح الكنيسة ، لكن كل منهما مضطر للآخر ، مضطر للحوار والاستفادة والاستغلال ، والغرب - بلا شك - مقْدم على عودة للدين لأسباب عديدة ليس هذا موضع تفصيلها لكن من هذه الأسباب الفطرة الدينية التي فطر الله الناس عليها والتي غشى عليها لفترة من الزمن الوهج العلمي والتعلق بالإنتاج الصناعي ، ثم عاد العلم ليأخذ موقعه الصحيح يوماً بعد يوم وما سببه من مادية جافة سئم الناس خشونتها وانفصامها.
وكذلك ازداد اهتمامهم بدراسة ظاهرة الإسلام ، وكثرة البحوث والدراسات حول ذلك ؛ لاستكشاف أفضل الطرق لاحتوائه ، إضافة إلى موجة الشباب النصراني المتدين والتي تخرج في شكل دعاة متنقلين من مدينة إلى أخرى ، وينزلون مساكن الجامعات ، ويقيمون الخيام للدعوة إلى الدين النصراني ، ووجدت مجموعات متدينة يرفضون المدنية الحديثة ويرفضون وجود أجهزة التلفزيون في بيوتهم ، ويمنعون أبناءهم من التعليم العام لما يرون في كل هذا من الانحراف عن الدين. وهذه مجموعات جديدة في أمريكا عموماً لا علاقة لها بالأيمش الموجودين في ولاية أوهايو ولا بالمورمون في ولاية يوتا. وهذه قضايا تؤرق الدول الملحدة أو العلمانية ، يؤرقها أن يسيطر الدين ويحكم ، ويؤرقها الفراغ والإلحاد والشيوعية أن تسود ، فهي تحرص على وجود توازن مستمر بين هذه القوى المؤثرة في المجتمع ، وهى ليست قصيرة التجربة في هذا المضمار ، لقد نضج التعامل العلماني مع الديني منذ ما يزيد عن قرنين من الزمن ، وعرف كيف يسخر الدين للسياسة ، ويركبه فيكون مطية ذلولاً يعرف كيف يتحكم في شموسها ونفورها لتكون طيعة مسالمة أليفة.
هذه التجربة الخطيرة في التاريخ يمكن أن نصنفها على أنها اختراع عظيم جداً يصدّر للعالم المتخلف كما تصدّر له الملابس الجميلة والسيارات الفخمة وهذا اختراع فخم يقدم للعالم خدمات جليلة في نظرهم أنَّى لأي جهاز آخر أن يؤديها؟!.

لعل العديد من ضحايا الاستكشاف السابق لا يعلمون بأنهم ضحاياه ، إنهم يسلمون بأن القلص (الإبل) قد هجرت وجاءت السيارة بديلاً قوياً وذهب البعير من الواجهة ، وقد ارتاح فعلاً فما عاد يرحل بليل ، ولا يتأوه آهة الرجل الحزين. قسم كبير من هذه الجمال ذهب إلى المتاحف الحيوانية ينعم ويرفه للفرجة والرؤية فقط ، ويمكن أن يتنزه عليه حول الأهرام وغيرها وليكون في عيون الغريب تحفة قد تستحق النظر والإعجاب. ولكنه لا أهمية له ولا دور في حياة الناس.

إن سحب البساط من تحت الدين وتجريده من السلاح أحد الصادرات المهمة من هناك إلى بلاد المسلمين ، عكفوا على إنتاجها سنين وليالي وأياماً حتى جاءت جاهزة. والذي نستيقنه أنه لا يمكن لهذه البضاعة أن تعمل عندنا لزمن طويل ، فبلادنا حارة لا تقوى بضاعتهم على مقاومتها سيأكلها الصدأ وتهوي بها الريح في مكان سحيق.

طلائع الوهن والتبعية في بلدان العالم الإسلامي فرخت وتوسعت دائرتها من أفراد ينادى بهم ويشنع عليهم ، إلى ظاهرة اجتماعية تملأ هذه البقاع ويمكن أن نستعير كلمة "طبقة" من مردديها لنقول إن طبقة في عالم المسلمين اليوم تستقر في المدن عاشت في الغرب أو لم تعش ، واعتادت الحياة الغربية وقيمها وآدابها فالحق في بلادهم ما كان حقاً في الغرب ، والباطل في الغرب باطل عندهم. أناس مسلمون غالباً ما يقومون بأداء شعائر الإسلام واحترامه ، ليسوا عملاء للغرب ولا لحكوماته ، قد يكرهون سيطرته وإذلاله للمسلمين ، لكنهم مقهورون في أعماقهم مغلوبون في نفوسهم ، في أرواحهم وهممهم ، راعهم بهرج الغرب ونظمه ورتابة حياته وإشباع رغباته الواسعة ، أعجبوا بحكوماته وديموقراطيته ، انتشوا بهذه الشهوات فعبدوها ، فكل غريب عندهم جليل مقدم وكل شيء من عندهم بدائي وحقير. يتمنون لبلادهم الخير ولكن ليس الذي أراد الله أو رسوله أن يكون خيراً ، إنما الذي علموه أو رأوه خيراً هناك فهو الخير هنا. هذا قطاع من خيرة شباب

الأمة تعلماً ومكانة يغري أوساط الناس وعامتهم إلى تقليده لمكانته الاجتماعية، لشهاداته، لأسلوب حياته الذي سموه تحضراً أو تمدناً ، ولكنه في الحقيقة أجنبي على كل حال.

هذا القطاع المقطوع من قيمه يقود الأمة للهاوية. إنه يؤخرها ، ويعطل مسارها ، ويكبح انطلاقها ، لما أصبح في حياته الفردية من عقد لا حصر لها. والمجتمع الواهن يخادع هذا القطاع بضعفه ، فيظن هؤلاء أنهم أقوياء وقدوات في ديارهم ، فيزيدون ترفعاً وتعالياً والتعالي عندهم هو الإغراق في التبعية والتقليد للمجتمع الغالب ، وهذه الفئة تقف سداً مانعاً دون نضوج الأمة ووعيها وتقدمها ، فهي ليست عدواً ولا تقف صراحة معه ، وهى فيما تقول بل وتعمل أحياناً - تعادي الغزاة وتحطم وهي تزعم البناء وتبذل كل جهدها لتكون بلادها وحياتها كأولئك وهي لن تكون ، إنها الفئة التي تحدث عنها سارتر في مقدمته لكتاب فرانتز فانون "معذبو الأرض" (1) وهي الفئة التي تحدث عنها أرنولد توينبي ، أما الأول فقال في معرض حديثه عن أسلوب صناعة الفكر الشرقي في الغرب (سارتر يتحدث عن مرحلة الفرد ، ونحن نتحدث عن ظاهرة الجماعة ، وهناك خلاف فيما نكتب عنه وفيما يتحدث عنه سارتر ، غير أن القضية في النهاية واحدة) يقول : "كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من إفريقية وآسيا ، ونطوف بهم بعض أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس؛ فتتغير ملابسهم، ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة ، ويرتدون السترات والسراويل ، ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو والاستقبال والاستدبار ، ويتعلمون لـغـاتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا، وكنا ندبر لبعضهم أحياناً زيجة أوربية، نلقـنـهـم أسلوب الحياة بأثاث جـديـد، وطـرز جـديـدة مـن الـزينة، واستهلاك أوربي جديد وغذاء أوربي، كنا نضع في أعـمـاق قـلـوبـهـم الـرغبة في أوْرَبَة بلادهم، ثم نرسلهم إلى بلادهم. وأي بلاد؟ بلاد كانت أبوابها مغلقة دائماً في وجـوهـنـا ، ولـم نـكـن نجد منفذاً إليها، كنا بالنسبة إليها رجساً ونجساً وجناً. كنا أعداءً يخافون منا وكأنهم هـمـج لـم يـعـرفـوا بشراً. لكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى

بلادهم ، كنا نصيح من أمستردام أو برلين أو باريس "الإخاء البشري" ؛ فيرتد رجْع أصواتنا من أقاصي إفريقية أو الشرق الأوسط أو الأدنى أو الأقصى أو شمال إفريقية ! ، كنا نقول : "ليحل المذهب الإنساني أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة" وكانوا يرددون أصواتنا هذه من أفواههم وحينما نصمت كانوا يصمتون. ثم كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم ، ليس هذا فحسب بل إنهم سلبوا حق الكلام من مواطنيهم".
هذا هو دور المفكر الذي يتشكل بالشكل الأوربي ويلعب في الدول الإسلامية دور دليل الطريق في البلاد التي لم يكن المستعمر يعرفها أو يعرف لغاتها. وهو السوس الذي عمل في الشرق من أجل تثبيت هذه المادة الثقافية والاقتصادية والأخلاقية والفلسفية والفكرية للاستعمار الغربي داخل هذه الأشجار المورقة الأصيلة.
"هذا هو السوس الذي كنا قد صنعناه وسميناه "المفكرين" كانوا عالمين بلغاتنا، وكان قصارى همهم ومنتهى أملهم أن يصبحوا مثلنا، في حين أنهم أشباهنا وليسوا مثلنا، إنما نخروا من الـداخـل ثـقـافـة أهـلـهـم، وأديـانهم القومية التي تصنع الحضارات ومُثلهم وأحاسيسهم وأفكارهم الجميلة ، وأصالتهم الأخلاقية والإنسانية ، وتحت أي شعار وباسم من ؟ ، باسم مقاومة الخرافات أو مكافحة الرجعية أو الوقوف ضد السلفية ، وباسم أولئك المفكرين الأوربيين الذين قاوموا الرجعية والكنيسة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، أمثال غاليليو وكانت وديكارت وجان جاك روسو وفولتير وغيرهم من الكُتاب الموسوعيين الذين ناضلوا في سبيل الحرية ، كانوا مفكرين بالفعل وأناساً بذلوا أرواحهم في سبيل الحرية - يعني الحرية من طغيان الكنيسة وأصحاب الملك الإلهي - كانوا نوابغنا الفكريين وعلماءنا العظام" (2) انتهى كلام سارتر. وكم كان كلامه معبراً عن هذه المرحلة العصيبة في حياة المسلمين ، وواخجلاً لأتباع سارتر في بلاد المسلمين !؛ عبدوه في حياته، وكادوا يهلكون لوفاته وسخروا أقلامهم ومجلاتهم

وجرائدهم وكتبهم للثناء عليه وعلى أفكاره التي سخر منهم فيها كما سبق (3) ، لكنه خلق الهزيمة والوهن والاستخذاء.
أما توينبى فيقول : "لم يكتفِ الأتراك بتغيير دستورهم - وهو شيء سهل نسبياً في مجال الإصــلاح الـدسـتـوري - بـل قـامـت الجمهورية التركية الوليدة بخلع المُدافع عن الدين الإسلامي - الخليفة - وألغت منصب الخلافة ، وجردت رجال الدين المسلمين وحلت منظماتهم ، وأزالت الحجاب عن رأس المرأة ، واستنكرت كل ما يرمز إليه الحجاب ، وأجبرت الرجال على ارتداء القبعات التي تمنع لابسيها من أداء شعائر الصلاة الإسلامية بأكملها ، وتبنت القانون المدني السويسري بعد أن ترجمته إلى التركية ، وطبقت قانون الجرائم الإيطالي، وذلك بفرض هذين القانونين بعد التصويت عليهما في المجلس الوطني، وغيرت الأحرف العربية بأحرف لاتينية ، وهذا أمر لم يتم إلا بطرح القسم الأكبر من التراث الأدبي العثماني القديم. ويجب على المراقب الغربي أن يراعي حدود اللياقة فلا يغالط ولا يسخر ، لأن ما يحاول المقلدون الأتراك القيام به هو تغيير وطنهم مما هم فيه إلى حالة كنا نحن - منذ التقاء الغرب بالإسلام - ننتقدهم لعدم وجودها فيهم ، وها هم حاولوا ولو متأخرين إقامة صورة طبق الأصل لدولة غربية وشعب غربي. وعندما ندرك تماماً هدفهم الذي رموا إليه ، لا نستطيع إلا التساؤل بحيرة : هل يبرر هذا الهدف حقاً الجهد الذي بذلوه في صراعهم لبلوغه ؟!.
والآن بعد أن تغير التركي بتحريضنا ورقابتنا ، وبعد أن أصبح يفتش عن كل وسيلة لجعل نفسه مماثلاً لنا وللشعوب الغربية من حوله ، الآن نحس نحن بالضيق والحرج ونميل إلى الشعور بالسخط والحنق ، وأن التركي مهما فعل مخطئ في نظرنا !" ثم يقول : "إن حركة المقلدين متبِعة وليست مخترعة مبتدعة ، لذا ففي حالة نجاحها - جدلاً - لن تزيد إلا في كمية المصنوعات التي تنتجها الآلة في المجتمعات الصناعية ، بدل أن تطلق شيئاً من الطاقة المبدعة في النفس البشرية ، وهذه الحركة تزيد كذلك في أعداد المقلدين وتضخم المستعبدين" (4).

الهوامش :

1- لم نترجم مقدمة سارتر للكتاب في الطبعة العربية كاملة ، ولكن ترجمت مقاطع فتط ، منها النص المشار إليه.
2- فاضل رسول "هكذا تكلم علي شريعتي" ، دار القلم ، الطبعة الثانية عام 1983م ، ص121-122.
3- زار سارتر مصر في العهد الدابر مع جارودي - حين كان شيوعياً - فكان حدثاً لدى الإعلام الموتور هز القطر وصعد محمد حسنين هيكل ليستقبله على باب الطائرة ، ونودي خلال الزيارة بعبد الرحمن بدوي رأساً للوجوديين المصريين إثر إخراج كتابه عن الوجودية ، ثم توجه مع "صديقـته" "سيمون دي بوفوار" إلى "إسرائيل" ، وفي باريس يخرج في مظاهرات مؤيدة لليهود والإسرائيليين، ويجمع لهم التبرعات، وحوادثه الفردية فقط تكفي لإدراك مدى استحقاقهم السخرية منهم وهو يجمع الرصاص لقتلهم ، في حين يركعون له ولكذبه ومجونه وسخريته ويجعلون من عجوزه الإباحية مثالاً للتقدم والحرية والتطور.
4 - محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ، دار الشروق ، 1407هـ ، ص357 -360 بتصرف ، وهذا نقلاً عن كتاب "الإسلام والغرب والمستقبل" محاضرات لتوينبي في عامي 1947-1952 ترجمها د.نبيل صبحى ، دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، عام 1389هـ/1969م ، ص50-53.

الثبات على دين الله
-1-

محمد صالح المنجد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يــهــده الله فـلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد :
فإن الثبات على دين الله مطلـب أسـاسـي لكل مسلم صادق يـريـد سلوك الصراط المستـقـيم بعزيمة ورشد.

أهمية الموضوع تكمن في أمور منها :

- وضع المجتمعات الحالية التي يعيش فيها المسلمون، وأنواع الفتن والمغريات التي بنارها يكتوون، وأصناف الشهوات والشبهات التي بسببها أضحى الدين غريباً ، فنال المتمسكون به مثلاً عجيباً "القابض على دينه كالقابض على الجمر".
ولا شك عند كل ذي لُب أن حاجة المسلم اليوم للثبات أعظم من حاجة أخيه أيام السلف والجهد المطلوب لتحقيقه أكبر.
- كـثـرة حوادث الردة والنكوص على الأعقاب ، والانتكاسات بين المسلمين ؛ مما يحمل المسـلـم على الخوف من أمثال تلك المصائر ، ويتلمس وسائل الثبات للوصول إلى بر آمن.
- ارتباط الموضوع بـالـقـلـب ؛ الذي يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في شأنه : "لَقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القِدْر إذا استجمعت غلياناً" (1).
ويضرب - عليه الصلاة والـسـلام - للقلب مثلاً آخر فيقول : "إنما سمي القلب من تقلبه، إنما مثل القلب مثل ريشة بالفلاة تعلقت في أصل شجرة يقلبها الريح ظهراً لبطن" (2)، فسبق قول الشاعر :

ما سمي الإنسان إلا لنسيانه ولا القلب إلا أنه يتقلب

فتـثبـيت هذا المتقلب برياح الشهوات والشبهات أمر خطير يحتاج لوسائل جبارة تكافئ ضخامة المهمة وصعوبتها.
ومن رحمة الله - عز وجل - بنا أن بيّن لنا في كتابه وعلى لسان نبيه وفي سيرته وسائل كثيرة للثبات ، أستعرض معك - أيها القارئ الكريم - بعضاً منها :

أولاً : الإقبال على القرآن :

القرآن العظيم وسيلة التثبيت الأولى وهو حبل الله المتين ، والنور المبين ، من تمسك به عصمه الله ومن اتبعه أنجاه الله ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.
نـص الله على أن وظـيفـة هذا الكتاب والـغـايـة الـتـي من أجلها أنزله منجّماً مفصلاً هي التثبيت ، فقال -تعالى - في معرض الرد على شُبه الكفار : ((وقَالَ الَذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ورَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (32) ولا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وأَحْسَنَ تَفْسِيراً)) [الفرقان:32،33].

كيف يكون القرآن مصدراً للتثبيت ؟!
* لأنه يزرع الإيمان ويزكي النفس بالصلة بالله.
* لأن تـلـك الآيات تـنـزل برداً وسلاماً على قـلـب المؤمن الذي تعصف به رياح الفتنة ، فيطمئن قلبه بذكر الله.
* لأنه يزود المسلم بالتصورات والقيم الصحيحة التي يستطيع من خلالها أن يقوّم الأوضاع من حوله ، وكذا الموازين التي تهيئ له الحكم على الأمور فلا يضطرب حكمه ولا تتناقض أقواله باختلاف الأحداث والأشخاص.
* إنه يرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين كالأمثلة الحية التي عاشها الصدر الأول.
ما هو أثر قول الله - عز وجل - : ((مَا ودَّعَكَ رَبُّكَ ومَا قَلَى)) [الضحى:3] على نفس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما قال المشركون : ودع محمد (3) ؟!
ما هو أثر قول الله - عز وجل - : ((لِّسَانُ الَذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ)) [النحل:103] لما ادعى كفار قريش أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- إنما يعلمه بشر وأنه يأخذ القرآن عن نجار رومى بمكة ؟!
ما هـو أثـر قـول الله - عز وجل - : ((أَلا فِي الفـِتـْنـَةِ سَقَـطُوا)) [التوبة:49] في نفوس المؤمنين لما قال المنافق ((ائْذَن لِّي ولا تَفْتِنِّي)) [التوبة:49] ؟!
أليس تثبيتاً على تثبيت ، وربطاً على القلوب المؤمنة ، ورداً على الشبهات وإسكاتاً لأهل الباطل.. ؟
بلى وربى.
ومن هنا نستطيع أن ندرك الـفـرق بـيـن الذين ربطوا حياتـهـم بالقرآن وأقبلوا عليه تلاوة وحفظاً وتفسيراً وتدبراً ؛ منه ينطلقـون ، وإليه يفيئون ، وبين مَن جعلوا كلام البشر جل همهم وشغلهم الشاغل.

ثانياً : التزام شرع الله والعمل الصالح :

قال الله - تعالى - : ((يُثَبِّتُ اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ ويُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ويَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)) [إبراهيم:27].

قال قتادة : أما ((في الحياة الدنيا)) فيـثـبـتـهـم بالخير والعمل الصالح ((وفي الآخرة)) في القبر. وكذا روي عن غير واحد من السلف (4). وقال سبحانه : ((ولـَوْ أَنـَّهـُمْ فـَعـَلـُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وأَشَدَّ تَثْبِيتاً)) [النساء: 166] ، أي على الحق. وهذا بيّن ، وإلا فهل نتوقع ثباتاً من الكسالى القاعدين عن الأعمال الصالحـة إذا أطـلـت الفتنة برأسها وادلهمّ الخطب ؟ ولكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يـهـديـهـم الله إليه صراطاً مستقيماً ويثبتهم بما ثبتوا به أنفسهم في الدنيا.

ثالثاً : تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل :

والدليل على ذلك قوله - تعالى - : ((وكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنـبـَاءِ الـرُّسـُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ ومَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)) [هود:120].
فما نزلت تلك الآيات على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلـم- للتسلـيـة والتـفـكه ، وانما لغرض عظيم هو تثبيت فؤاد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأفئدة المؤمنين معه.
فلو تأملت - يا أخي ! - قول الله - عز رجل - : ((قَالُوا حَرِّقُوهُ وانصُرُوا آلِـهَـتَـكُـمْ إن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وسَلامـاً عَلَى إبْـرَاهِـيـمَ (69) وأَرَادُوا بِـهِ كَـيْـداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ)) [الانبياء:68-70] ، قال ابن عباس : "كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار : "حسبي الله ونعم الوكيل"" (5).
ألا تشعر بمعنى من معاني الثبات أمام الطغـيـان والعذاب يدخل نفسـك وأنت تتأمل هذه القصة ؟.
لو تدبرت قول الله - عز وجل - في قصة موسى : ((فَلَمَّا تَرَاءَى الجَـمـْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إنَّا لَمُدْرَكُونَ. قَالَ كَلاَّ إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)) [الشعراء:61،62] ، ألا تحس بمعنى آخر من معاني الثبات عند ملاحقـة الظالمـيـن ، والـثـبات في لحظات الشدة وسط صرخات اليائسين وأنت تتدبر هذه القصة ؟.
لو استعرضت قصة سحرة فرعون ذلـك المـثـل العجيب للثلة التي تثبت على الحق بعدما تبين ، ألا ترى أن معنى عظيماً من معانى الـثـبات يستقر في النفس أمام تهديدات الظالم وهو يقول

: ((قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إنَّهُ لَكَبِيـرُكـُمُ الَذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ولأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ولَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عـَذَابـاً وأَبْقَى)) [طه:71] - ثبات القلة المؤمنة الذي لا يشوبه أدنى تراجع وهم يقولون : ((قَـالـُوا لَـن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا)) [طه:72].
وهكذا قصة المؤمن في سورة يس ومؤمن آل فرعون وأصحاب الأخدود وغيرها يكاد الثبات يكون أعظم دروسها قاطبة.

رابعاً : الدعاء :

من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم : ((رَبَّـنـَا لا تُـزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنَا)) [آل عمران:8] ، ((رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وثَبِّتْ أَقْدَامَنَا)) [البقرة:250].
ولما كانت "قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء" (6) كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكثر أن يقول : "يا مقـلـب القـلـوب والأبصار ثبت قلبي على دينك"(7).

خامساً : ذكر الله :

وهو من أعظم أسباب التثبيت وتأمل هذا الاقتران بين الأمرين في قوله - عز وجل - :((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً)) [الأنفال:45] فجعله الله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد. "وتأمل أبدان فارس والروم كيف خانتهم أحوج ما كانوا إليها" (8) بالرغم من قلة عدد وعدة الذاكرين الله كثيراً.
وبماذا استعان يوسف - عليه السلام - في الثبات أمام فتنة المرأة ذات المنصب والجمال لما دعته إلى نفسها، ألم يدخل في حصن ((معاذ الله)) ؛ فتكسرت أمواج جنود الشهوات على أسوار حصنه ؟.

سادساً : الحرص على أن يسلك المسلم طريقاً صحيحاً :

والطريق الوحيد الصحيح الذي يجب على كل مسلم سلوكه هو طريق أهل السنة والجماعة طريق الطائفة المـنـصورة والفرقة

الناجية ، ذو العقيدة الصافية والمنهج السليم واتباع السنة والدليل ، والتميز عن أعداء الله ومفاصلة أهل الباطل.
وإذا أردت أن تـعـرف قيمة هذا في الثبات فتأمل وسائل نفسك لماذا ضل كثير من السابقين واللاحقين وتحـيروا ولم تـثبـت أقدامهم على الصراط المستقـيم ولا ماتوا عليه ، أو وصلوا إليه بعدما انقضى جل عمرهم وأضاعوا أوقاتاً ثمينة من حياتهم ؟.
فـتـرى أحدهـم يـتـنـقل في منازل البدع والضلال من الفلسفة إلى عالم الكلام والاعتزال إلى التحريف إلى التصوف والتفويض والإرجاء...
وهكذا أهل البدع يتحيـرون ويضـطـربون وانظر كيف حرم أهل الكلام الثـبات عند الممات فقال السلف : أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام.
لكن فكر وتدبر هل رجع أحد من أهل السنة والجماعة عن طريق سخطة بـعـد إذ وفـقـهه وسلكه ؟ فقد يتركه لأهواء وشهوات أو لشبهة عرضت لعقله الضعيف ، لكن لا يتركه لأنه قد رأى أصح منه أو تبين له بطلانه. ومصداق هذا مساءلة هرقل لأبـي سفـيـان عن أتـبـــاع محمد -صلى الله عليه وسلم- قال هرقل لأبي سفيان : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قال أبو سفيان : لا. ثم قال هرقل : "وكذلك الإيـمـان حيـن تخـالـط بشاشته القلوب" (9).
سمعنا كثيراً عن كبار تنقلوا في منازل البدع أو هداهم الله فتركوا الباطل وانتقلوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة ساخطين على مذاهبهم الأولى ، ولكن هل سمعنا العكس ؟!
فإن أردت الثبات فعليك بسبيل المؤمنين.

- يتبع -

الهوامش:

1 - رواه الإمام أحمد والحاكم عن المقداد مرفوعاً ، صحيح الجامع (5023).
2 - رواه الطبراني عن أبي موسى مرفوعاً ، صحيح الجامع (2361).
3 - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (8/446).

4- المصدر السابق (2/535).
5- الفتح (8/229).
6- رواه الإمام أحمد ومسلم عن ابن عمر مرفوعاً.
7 - رواه الترمذي عن أنس مرفوعاً ، صحيح الجامع (7864).
8 - ما بين القوسين مقتبس من كلام ابن القيم - رحمه الله - في "الداء والدواء".
9- رواه البخاري ، الفتح (1/31).

التنصير في العالم العربي
خطط مستمرة

إن بعثات الـتـنـصير لا تـزال تعمل بإصرار مـن أجل تحقيق أهدافها ، وبخاصة في أنحاء العالم الإسلامـي ، والعالم العربي بشكـل أخـص ، وهي تعتبر أن مجال العمل في صفوف المسلمين في العالم العربي من أشق المهام ، وهـي قلقة - كعادتـهـا دائـمـاً - مـن مـزاحمة الإسلام لها ، فإذا أحرزت بعض النجاح في البلاد التي تعتبر مهداً للإسلام فإنها تكسب كسباً مادياً ومعنوياً.
أما الكسب المادي فإنها تكون قد أوجدت الـقـاعـدة التي تـتـكـئ عليها من أهـل الـبـلاد الأصليين.
وأما الكسب المعنوي فهو ظهورها أمام من يرعـون نشاطات التنصير في العالم ، وخاصة في العالم الغربي بأنها حققت شيئاً فتكسب تعاطفهم وحماستهم لتأييدها بما يستطيعون ولذلك فإن التنصير يلح على أن يعـمـق جذوره في الـعـالم العربي ، ويعد من أجل ذلك الدورات والمؤتمرات ، ويشرف على الـنشاطـات السرية والعلنية المرتبطة بمنظمات نشطة في أوربا وأمريكا. وقد أرسل إلى هذه المـجلـة أحد الدعاة من أمريكا عدداً من نشرة تبشيرية تصدر هناك تسمى ديت لاين (Date Line) ، تخطط لأتباعها طرق التنصير ، وتحضهم على الانضمام إلى دوراتها التدريبية التي تعقدها لتأهيلهم للقيام بهذه المهمة.

حول النشرة :

النشرة موجهة أصلاً إلى المسيحيين الذين يهتمون بتنصير المسلمين وبأوضاع العالم العربي ، فهي من جهة تحضهم على الـتـطـوع للعمل في هذه البلاد ، وتبث في نفوسهم العزيمة من أجل القيام بهذا العمل الشاق ، ثم تلقنهم كيفية نشر أصول الدعوة المسيحية بين المسلمين عن طريق تقريب وجهات الـنـظـر فيما يخص مفهوم التوحيد والتثليث ، ثم تركيز بشكل خاص على القسم الشـمـالي الـغـربـي من إفريقية ودعوة (للصلاة) من أجل فتح (المغرب) ، بالإضافة إلى إعلانات تتعلق بهذه الأنشطة.

تحت عنوان "لابد أن يفتح الباب إذا واصلت قرعه ":

ورد في النشرة ما يلي :

"يا من لهم تمرس أكبـر في الـعـمـل في ديـار الإســلام - أنتم ولا شك تعلمون أنه لا يسمح للمسلم شرعاً أن يرتد عن دينه ويعتنق ديناً آخـر، وقد تستنتجون من ذلك استحالة العمل بينهم، وكذلك لا مجال للبعثات التنصيرية للعمل هناك، إذ لـيـس مـصترحاً لها بالنشاط، فقد أسدل الستار وبني الحصن بـقـوة قـد تـبـدو غير قابلة للاختراق خاصة في نظر الذين يغفلون عما يصنعه الرب في العالم العربى.

هـنـاك إحـساس لـدى العامـلـين في البلاد الإسلامية أننا أمام فتح مبين، صحيح أن بعض الجهات في العالم الإسلامي أصبحت أكثر تعـصـباً، ولكنها تبقى أقلية شديدة البروز فقط، والـذي يـدفـعــنـا إلـى مـضـاعـفـة جـهـودنـا الآن هـو مـا نــراه مـن تـغـيـر فـي الـمـواقـف والمـزاج لـدى الأغـلـبـيـة.

إن ما يربو على 65% من سكان العالم العربي الآن هم دون الثلاثين ، وفي دائرة هذه السن تقوى نزعة البحث عن الحقيقة والاستقرار، والـعـثـور عـلـى مـنـارة هـاديـة فـي خـضـم الاضطرابات التي تعترضهم وهم يواجهون مشكلات العصر ، وفي الوقت الذي ارتفعت فيه نسبة المتعلمين فإن نسبة البطالة ارتفعت كذلك. صحيح أن دعوات التزمت الديني قائمة، ولكن الذين يناصرون الغرب ، ويحبذون اتباع سبله كُثر. ومما يزيد في

تعقيد هذه المشكلة الأزمـات الإسـكـانية وعدم الاستقرار الاقتصادي والاضطرابات الاجتماعية في وقت يسعى فيه الجميع إلى تحسين مستوى معيشتهم.
هـناك بعـثـات تنصيرية فعالة تعمل حالياً بنجاح في هذه البلاد المنيعة ظاهرياً، ولكن هذه البعثات تتعرض يومياً لتوترات وضغوط لا يمكن تجاوزها إلا بوسائل روحانية (!!)، فنحن شـهـود عـيـان لما تصنـع يد الرب في أوضاع قد تبدو مستحيلة، نحن نشهد نتائج لا يمكن تفـسـيرها إلا بقـبول صلواتنا، إن الصلاة هي جانب من أعظم جوانب الشعائر التي يجب على الـكـنـيـسـة في الـغـرب الاهتمام بها، بإمكاننا الادعاء بالنجاح في فتح الأبواب على مـصـاريـعـها، بإمـكانـنا دخول أمصار جديدة، بإمكانـنا بـعـون الله، وبفضل كل صلوات المبشرين وتضحياتهم - تسريب فرق همها الشاغل هو كسر قبضة الإسلام الحديدية ، فقد عُرف العالم العربي بأنه أشد المناطق صعوبة على وجه الأرض لدخول الإنجيل، ولا يزال غير ملتفت إليه بشكل كافٍ من قبل رجال الكنيسة نتيجة لجهلهم، إن العالم العربي لم يحصل على هذه السمعة إلا لقلة المتطوعين للتضحية في سبيل إعلاء كلمة الإنجيل.
نحن نـعـيش في مجتمع يقيس النجاح بالكم، وكلمتنا هذه نظرة للكيف عن طريق الطاعة، وعلينا أن ننـظـر إلى العالم العربي من منظار الرب، فلو أننا استـصـعبنا هذه المهمة لكنا قد ظـنـنا نقصاً فـي قـوة الـرب، فكأننا نزعـم أن هذا المجال يعجز الرب عن العمل فيه. وقد وصلنا مؤخراً في اجتماعات مؤتمر الكنائس العالمي في فرنسا إلى اتخاذ قرارات حددنا فيها أهدافنا إلى عام 2000م، وبعد صلواتنا المكثفة (الحارة) شعرنا أن الرب يحثنا على الانفتاح وعـدم الـتـواني في فـتـح أبواب جديدة على العالم العربي، وسيركز العدد القادم من ديت لاين Date Line على الطرق الجريئة التي تدخل في باب المستحـيل، صارخاً : افتحوا الأبواب !

دعاء من أجل فتح المغرب !

تـحـت هـذا العـنـوان تقدم هذه الفقرة لمحة تاريخية عن المغرب من وجهة نظر مسيحية، ولكنها تعترف - مرغمة - بأن الغالبية الساحقة من سكان المغرب مسلمون - ما عدا أقلية من اليهود ، وأخرى من المسيحيين - من أصل أوربي.

ويـدعـو كاتـب هذه الفـقرة أتباعه إلى الصلاة من أجل تحقق حرية أكثر للأديان في المغرب (يقصد حرية البعثات الـتـنصيرية)، ويـشـيـر إلى جـهـود الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى الشعب المسلم في المغرب ، وكذلك إلى جهود التنصير عن طريق المراسلة ، ويذكر أن حوالى (150) ألف مغربي تُرسل إليهم الدروس التنصيرية عبر البريد من أوربا ومن مركز التنصير الخاص بالعالم الـعـربي (A.W.M.) مع اعترافه بالصعوبات التي تلقاها هذه الجهود إلا أنه مستبشر بالنتائج إذا سبقها الإصرار والمتابعة.

إرشادات للمتطوعين :

الفقرة التالية فيها تحذير أن تقع نشرات خطط التنصير بأيدي المسلمين لأن في ذلك خطراً وتعطيلاً لبرامج نشر المسيحية بين المسلمين: مديرنا العام كثيراً ما ذكرنا بأننا لسنا في نزهة ترفـيـهـية، وإنما نحن في حـالـة حرب (!!) لهذا فنحن نؤكد على أهمية الصلاة والدعاء وطـلـب الـعـون من محـبي ومؤيدي الصلاة، ولكي يكون لصلاتنا معنى، فنحن بحاجة إلى الوقت والجهد وتحمل أعباء العالم الإسلامي، وإلى المعلومات الصحيحة الوافية.

إن كنت تريد الصلاة دورياً والحصول على نشرتنا الشهرية "آخر الأنباء" فالرجاء إعلامنا بذلك، إن هـذه الـنـشـرة تحتوي على معلومات سرية حول الصلاة، ولأنـنا نـعمل في بلاد مـعـادية للمـسـيـحـية فهذه النشرة ترتدي طابعاً سرياً لا يجوز أن يطلع عليه العوام، فلو وقـعـت هذه المعلومات في أيدٍ غير موثوقة لربما أدى ذلك إلى عواقب وخيمة؛ لهذا السبب نطلب تزويدنا باسم كنيستك والقس الذي يديرها لأسباب أمنية فقط !.

طبيعة عمل بعثات التنصير :

تسـعـى بعـثـات تـنـصـير الـعـالـم العربي أولاً إلى تأسيس كنيسة "يسوع المسيح" في العالمين البربري والعربي (!!) ولـديـنا فـرق تـعـمـل في صفوف المليوني مسلم من المغرب العربي في

فرنسا، ونـبـث بـرامـج مـراسـلة وإذاعية لنشر الإنجيل على أوسع نطاق ممكن انطلاقاً من مركزنا الإعلامي الموجه إلى العالم العربي.

التحدي :

نهدف - في هذه الـمـرحلة تحديداً - إلى دخول 100 مدينة جديدة موزعة على 20 دولة دتى
في عام 2000م ، ونـحـن ننتظر بشوق وحماسة إمكانية نجاحنا في إيصال هذه البشارة إلى أمكنة لم يسبق أن وصلتها من قبل.

فرصة سانحة :

إن العالم الإسلامي هو أحد الأماكن التي تحظى بالقليل من الرعاية والكثير من الإهمال من قبل المنصرين حالياً، فخمس سكان العالم اليوم (كذا) مسلمون، وهو آخر الخطوط الدفاعية الأخيرة التي لابد للإنجـيـل من اختراقها ، فإن كنت ترغب في مواجهة التحدي وتوسيع الأفق ، والتعرف على حاجــات العالم الإسلامي الحالية فهلُمّ للمشاركة في إحدى دوراتنا التدريبية الصيفية، اكتشـف حقيقة الإسلام، تعرّف على ما يؤمن المسلم ، وعش معنا تلك اللحظات التي يشترك فيها النصراني مع المسلم في الرسالة !.

دورات ومهام :

نحن نؤمن بأننا دخلنا في عهد ملىء بالانتصارات داخل العالم ، لماذا لا تشارك في إحدى الدورات التالية ، ولا تشهد بنفسك صنع الرب (!) داخل العالم الإسلامي؟

في مونتريال - تورنتو - فيلادلفيا:

دورات مكثفة حول المسائل الإسلامية والرد المسيحي عليها - تدريب على الانفتاح المركّز على التنصير عن طريق الصداقة (4 أسابيع).
في فـرنسا: الخروج إلى مدينة فرنسية نسبة المغاربة فيها كبيرة (4 أسابيع).
لـــنــدن : دراسات إسلامية والرد المسيحي (أسبوعان).
في تونس : برنامج توجيهي وخروج، تدريبات في لندن، طِـر إلـى تونس وتجول في أرجاء البلاد وزر مدناً كبيرة (4-6 أسابيع).

الشرق الأوسط: برنامج توجيهي ومخيم في عمَّان، جولة في سورية ومصر، برنامج الخروج في لندن (6-8 أسابيع).
المـغرب: برنامج توجيهي وخروج في لندن ، زيارة برية للمغرب عبر أوربا (4-6 أسابيع).
هذه دورات مكثفة تحتاج إلى صبر ومتابعة وينبغي أن يتصف راغبو الالتحاق بها بالوعي وبتزكية موثوقة.
يشـتـمـل البرنامج على خروج واتصال بالمسلمين وباقي نشاطات بعثات التنصير في العالم العربي، السن المطلوبة: 18 فما فوق.

شبهات :

الفقرة التالية فقرة إرشادية لمن يقومون بالتنصير بين المسلمين وما يواجهونه من صعوبة في الرد على فكرة الشرك والتثليث عند النصارى :
"لا إله إلا الله" يـرددهـا الـمـسـلـم الـعـادي مراراً كل يوم في صلواته، وإعلاناً عن عقيدته الإسلامية. والقرآن يعتبر أن أعظـم الذنوب وأكبر الكبائر هو الإشراك بالله. ومع أن القرآن يعـترف في مواضع عدة منه بـعـبادة اليهود والنصارى لإله واحد ؛ فإنه يشير أيضاً إلى أن النصارى يعبدون أكثر من إلــه، أو أنهم يـعـبـدون عيسى المسيح من دون الله : ((لَقَدْ كَفَرَ الَذِينَ قَالُوا إنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَـلاثَةٍ)) [المائدة:73]، ((وإذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ)) [المائدة:116] ، ((لَقَدْ كَفَرَ الَذِينَ قَالُوا إنَّ اللَّهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ)) [المائدة:17].
يعـتـقـد كثير من المسلمين أن النصارى مثلّثون يؤمنون بثلاثة آلهة، بدلاً من حقيقة كوْنهم موحدين (!) يؤمنون بوجوه ثلاثة للإله الواحد. والثالوث هو: الرب، مريم، عـيـسى أو: الرب، وعيسى، والروح القدس. وهكذا يعـتـقـد المسلمون أن النصارى يناقضون في عقيدتهم الركن الأساسي في الإسلام وهو توحيد الله الذي ليس كمثله شيء، وهـكـذا يـكـونـون قــد سقطوا في وهدة الشرك وعبادة الأصنام.

فعلى المسيحي أن يسارع بطمأنة صديقه الـمسلم منذ بداية النقاش أن الكتاب المقدس يشهد بأن الله واحد، وأنه الوحيد الجدير بالعبادة (سفر الخروج 20 /2-3) و(مرقس 12/29).
لابد لنا فعلاً من الاعتراف بأن الله واحد وأنه لا إله إلا هو حتى نكون عباداً صالحين له، ولـكـن عـلـيـنا أن نـفـهـم كنهه وطبيعته وما صنعه من أجلنا تكرماً منه، وما يطلب منا أن نكون ، وأن نعمل على طاعته.

تعليق أخير :

بعد قراءة محتوى هذه النشرة هناك نقاط كثيرة يحسن الوقوف عندها ، ونكتفي ببعضها ، موجهين الكلام إلى الذين قد يقعون تحت تأثير هؤلاء المنصرين فيقفون أمامهم إما حيارى أو متعاطفين :
1 - يتهم هؤلاء المنصرون بعض المسلمين بالـتـعـصـب الـديـنـي وينسون أنفسهم ، ونحن لا ندري بماذا نسمي عملهم هذا الذي يهدف إلى حث الـمـسـلـمـيـن عـلـى ترك دينهم واتباع الإنجيل ، ولئن دل هذا على شيء فإنه يدل على قلة الحياء والتلاعـب بـالألفـاظ ، وهما من أهم صفات المنصرين في كل عصر.
2- أن دراسة هؤلاء لظروف المسلمين في العالم - وفي العالم العربي بشكل خاص - تدفعنا إلى أن نكون نحن أولى بذلك ليكون فهمنا للواقع وتحليلنا للـظـروف التي يمر بها المسلمون دافعاً للسيطرة على العقبات ، وأساساً لمعالجة هذه الأزمات.
3 - أن أشد ما يثير حنق المنصرين وأتباعهم هو "قبضة الإســلام الـحديدية " ؛ لذلك هم يعملون جاهدين لانحلال هذه القبضة عن طريق تشكيك أجيال الـمـسـلمين بدينهم ، وزرع المفاهيم الغريبة بينهم.
4- يصلي هؤلاء من أجل تحقيق حرية الأديان في المغرب ، وهم يقصدون حرية النشاطات التنصيرية في المغرب أكثر مما هي عليه الآن ، وهم لو كانوا منصفين لأقروا بأن المغرب من أكثر الدول تسامحاً مع اليهود والنصارى.
ولأمرٍ ما تركز مراكز التنصير على المغرب العربي ، فهو الجزء الأقربً إلى أوربا وهو جسر العبور إلى باقي العالم العربي

وإفريقية ، وهو المكان المحتمل منه الـخـطـر عـلى الحضارة الأوربية أكثر من غيره.
5 - ليس هناك أصدق ولا أبلغ من وصف حالة المنصرين مع المسلمين بأنها "حالة حرب" كـمـا ورد فـي (إرشادات للمتطوعين) وهذا الوصف كلمة حق ينطق بها العدو من أجـل أن يعرف كيده ويحتاط له الاحتياط كله.
أن من فـضل الله على المسلمين أن جعل عقيدتهم سهلة واضحة ، تتقبلها الفطرة ، وتأبى على !الأسـالـيـب الـمـلـتوية ، والمداورات التشكيكية ولا غرابة في ذلك فهي عقيدة الرسل جميعاً من لدن آدم إلـى الـرسول -صلى الله عليه وسلم-. وأن عقيدة التوحيد هي الأساس الذي يتحطم عليه كل ادعاء ، وأي مسلم يقرأ محاولة هؤلاء المنصرين إثبات أنهم يؤمنون بإله واحد - كإيمان المسلمين - يكتشف أنهم يتلاعبون بالحقائق ، ويسخرون من العقول. وهم إذا أرادوا من الـمـسلـم أن يتجاوز عن وصف القرآن لهم بالكفر في أكثر من موضع فهم أمام أمرين :
أ- أن يشك المسلم بأن هـذا الـقـرآن - أو بعضه - كلام الله وهذا كفر صريح لا يقدم عليه مسلم وهم يطمحون إلى ذلك طبعاً.
ب - أو أن يقولوا له : إن الـقـرآن حين وصف من وصف من النصارى بالكفر إنما وصف طائفة منهم انقضى أمرها ونحن لسنا منها في شيء، أما نحن فنرفض التثليث ونؤمن بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، وعند ذلك ينتفي عنهم الشرك، وهم لا يثبتون ذلك طبعاً بل يصرون على التثليث من حيث يوهمون أنهم يقولون بالتوحيد. والمسلم لا يرى فرقاً بين من يؤمن بثلاثة آلهة وبين من يؤمن بثلاثة وجوه للإله الواحد!!؛ فكل ذلك كفر.
نعوذ بالله من همزات الشياطين ونفثات المبشرين.

آلام وآمـال

شعر : محمد أمين أبو بكر

الأرض ناحت والخطـوب جسـام لكـنـنـا بين الأنام نيــــــام

في محنة بسطـت سحائب بؤسهـا بكت الـعـراق لهولها والشــام
أننام والآفــــاق ترعـــد حولنـــا والريح تعصف والضياع طعـام
والعقل يصــرخ والضمـائر تشتكــي والموت في جل العيون ينــــام
في حقبة من عمــرنا أضحــى بهــا يخشى الضياء ويعشق الإظلام
أَوَ ما كفــى نومــاً يغال حيــــاتنا وتموت في ظلماته الأحــــلام
البعد عن شـمــس الهدايـة مأتـــم دفنت مفاخرنا به الأقــــــزام
لِمَ لا تعــــود إلى الضيــاء عقولنــا ويضئ كل دروبنا الإســــلام
لم لا يعــــود إلى الصــــدارة ركبنــا يمضي وتخفق فوقه الأعــــلام
لنقيــــــم أبـراج الإبـــــاء بهـمـــــة في ركبها تتهـلل الأعــــــوام
فالمجـد في ســاح البطــولة صنعــة لا الغيد تصنعه ولا الأوهـــام
والظلــــم يلتهــم الأنـــام بنابــــه ويضج فيها من لظاه ضـــــرام
هاقـد علــــت بين الديـــار نوازل يهتز منها الترب والآكــــــام
النيل يزأر والفــــــــرات مضـــرَّج وضفاف كابل لفها الإجــرام
والليل يعـــــوي والزوابــع لا تعي والقدس في وضح النهار تسام
من قاتل عشق الجريــمة بعـــــدما سخرت به وبجنده الأقـــوام
هبــوا إلى العليـــاء إن تراثنـــــــا في كل أرض ســيـــد وإمـــام
فإذا استقـــــام علـى الــهداية ركبنا يخضر فوق هضابنا الإقـــدام
وترف أغصـــــــان السعادة فـوقنـــا وتزول من أصقاعنا الأسقــام

شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

باكستان... بعد ضياء الحق

صـرح مـصـدر أمـريكى مسـؤول أن يولي فورونتسوف نائب وزير الخارجية السوفياتي حذر السـفـير الأمـريـكـي في مـوسـكو من أن السوفيات سيلقنون الرئيس الباكستاني درساً إذا لم يوقف دعمه للمجاهدين الأفغان.
وأضاف المسؤول الأمريكى أننا اعتقدنا أنهم -أي السوفيات- سيقومون ببعض التفجيرات في أهداف في باكستان، وقد ذهبنا إلى السوفيات وحذرناهم من تفجير أي أهداف باكستانية وأكـدنا لـهـم اهـتـمـامـنـا العمـيق بباكستان، وردوا بقولهم: إنهم لن يفجروا شيئاً ولكنهم سيلقنون ضياء الحق درساً (1). كان ذلك حوالي 7/8/1988.
وفي 15/8/1988 أعلن المسؤولون في الكرملين أن دور باكستان لم يعد من الممكن احتماله أو التسامح به ، وأن الاتحاد السوفياتي يحتفظ لنفسه بحق اتخاذ ما يرى من الإجراءات ضد هذا الدور (2).
وفي 17/8/1988 - أي بعد تهديد موسكو بيومين - مات الرئيس الباكستاني ضياء الحق عندما انفجرت في الجو الطائرة التي كانت تقله من مطار باوالبور إلى مطار روالبندي ، وعثرت فرق البحث التابعة للقوات الجوية الباكستانية على جثث الرئيس الباكستاني ورئيس أركانه ، والسفير الأمريكى وآخرين من كبار الضباط والمستشارين متناثرة فوق سهل رملي قريب من حدود باكستان مع الهند - أي في إقليم البنجاب - ونقل ما تبقى من هذه الجثث بعد أن بذلوا جهوداً مضنية للوصول إلى جثة الرئيس وتمييزها عن غيرها من الجثث ، هكذا قالوا ، ولربما وضعوا يد هذا مع صدر أو رأس ذاك !
هكذا ينتهي مصير الإنسان في لحظات بينما هو يخطط لعشرات السنين ، وربما كان الرئيس مشغولاً قبل الموت بثوانٍ بالانتخابات والمعارضة وما يفعل بهذا وما يدبر لذاك.

قال - تعالى - : ((إنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ومَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً ومَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) [لقمان:34].
هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله - جل وعلا - بعلمها ، ضياء الحق ما كان يدري أنه سيموت في إقليم البنجاب ، الأرض التي ولد ونشأ وترعرع فيها ، ورحل منها مع والديه وأهله عام 1947 أي بعد إنشاء باكستان.
ما كان يدري السفير الأمريكي الداهية المتمرس بشؤون العالم الإسلامي أن طموحه سيقوده إلى هذه النهاية التعيسة ، فلربما كان يخطط ليكون رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية ومؤهلاته تسمح له بمثل هذه الطموحات.
لقد ذهل الناس في باكستان لأن الرحلة كانت سرية ولم يعلن عنها ، ومبلغ علمهم أن رئيسهم في إسلام آباد ، وها هو يموت في إقليم البنجاب ، رئيسهم الذي لمع نجمه ، وعظم شأنه ، وأثبت جدارة في الحكم ودهاءً وحنكة في السياسة.
كم نتمنى أن تنقل إلينا بصدق أحاسيس الطغاة (3) البغاة ومشاعرهم عندما سمعوا هذا النبأ ، لكأننا بهم يخشون من جدران منازلهم ومكاتبهم ، وترتعد فرائصهم من حرسهم وخدمهم ، وتتضاعف دقات قلوبهم عندما يركبون حافلة أو طائرة ، ألا ما أتعس حياة الذين يعيشون في قلق واضطراب ! ، وما أذل الذين يستبدون وينكلون بالأبرياء الأحرار ليتلذذوا بالحكم وينعموا بالجاه والمال ، ويتناسوا يوماً يرجعون فيه إلى الله ((ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ)) [آل عمران:161].
أما المؤمنون القانتون المتصدقون فقد أعدوا للموت عدته ، وتزودوا بالتقوى والعمل الصالح ، ويعلمون حق العلم أنهم قد يموتون في كل يوم ، وفي كل سفر ، ويتشوقون إلى تلك الحياة الأبدية السرمدية التي ليس فيها ظلم ولا قهر ولا طغيان ، ويرجون أن ينعم الله عليهم بجنان الخلد وملك لا يفنى.
ننتقل خطوة أخرى في هذا الموضوع الحساس ، وقبل تحليلنا لأبعاد ضياء الحق ، وتحديد هوية القاتلين نريد تسجيل هذه الملحوظات المهمة :

أولاً : مسكين من يقرأ الصحف العربية وحدها ومنها يريد معرفة أوضاع المسلمين في باكستان بعد مقتل ضياء الحق.
- سيجد فيها صحفيين ينعتون الرئيس الباكستاني الراحل بأقبح النعوت ؛ لأنه حاكم عسكري مستبد ، مع أنهم يسبحون بحمد حكام عسكريين يحصون أنفاس مواطنيهم ، ولا يتورعون عن قتل كل من يقول لهم "لا" ، وضياء الحق سمح بوجود معارضة ، وكانت تشتمه وتتآمر ضده ، كما سمح لهم بإصدار نشرات وصحف ومراكز ، وأكثر أحزاب المعارضة كانت تتحالف وتتكتل ضده ، وما أباد منطقة ولا مدينة ولا قرية ، وإنما كان يواجههم بحنكته السياسية ، فما بال هؤلاء يرون القذى في عيون الناس ولا يرون الجذوع والأغصان في عيونهم؟!
- سيجد فيها - أي في هذه الصحف - تجاهلاً مؤسفاً لأوضاع المسلمين في باكستان بعد مقتل ضياء الحق ، مع أن باكستان - وكما ذكرنا في مقالات سابقة - من أكثر دول العالم اهتماماً وحماسة للقضايا العربية ، بل ولا تستطيع أية حكومة من الحكومات المتعاقبة فيها أن تتخذ موقفاً معادياً لمصالح العرب في فلسطين المحتلة أو في غيرها ، وهذه الصحف نفسها استنفرت أشد الاستنفار عند مقتل)أنديرا غاندي) رئيسة وزراء الهند السابقة ، ووصفتها بأحسن الصفات وأرفعها ، مع أن العلاقات بين الهند و"إسرائيل" لم تعد سراً من الأسرار ، لا نجد سبباً لمعظم هذه الصحف إلا كرهها للشعوب الإسلامية ، وحبها للشعوب العلمانية ، ففي صحيفة عربية يومية دولية تقرأ في عدد من أعدادها الحلقة رقم 20 عن تطورات معركة الرئاسة اللبنانية ، وموضوعات أخرى عن لبنان وطوائف لبنان ، وقُطاع طرقها في حين نشرت هذه الصحيفة خبراً لا يتجاوز بضعة أسطر عن مقتل الرئيس الباكستاني ، وأعقبته في اليوم الثاني بتحليل قصير نقلت فيه سموم وكالات الأنباء وانتهى الأمر عند هذا الحد ، وكأنها تتحدث عن الأرجنتين أو عن السويد (4) ، أفلا تكون باكستان عندهم مثل لبنان التي لا نقلل من أهمية المؤامرات التي تدبر ضده ؟!

ثانياً : من المصادر التي اعتمدنا عليها الصحف الغربية وذلك لسببين : السبب الأول : لأن ساسة الغرب في واشنطن ولندن وغيرهما على صلة وثيقة برئيس باكستان الراحل ومن سبقه ومن يأتي بعده. يعرفون أسرارهم ومخططاتهم بل ولهم دور مهم في رسم المخططات ، والبلدان الغربية ديمقراطية ، وبدهي أن تسرب هذه الأسرار - أو ما يسمى بأسرار - إلى كبريات الصحف الغربية لأنها تعمل مع أجهزة مخابرات هذه الدول. والحقيقة أن كبار السياسيين الغربيين يتعمدون نشر هذه الأخبار لإحراج من يسمونهم أصدقاء في دول العالم الثالث وللضغط عليهم.
نعم ، إن زعماء الدول الغربية بل رجال المخابرات فيها يعلمون خفايا ومخططات زعماء إسلام آباد وغير إسلام آباد ، في حين لا يعلم كبار العلماء والدعاة شيئاً ذا بال عن أمور هؤلاء الزعماء ، وإذا سئلوا كانت الردود متناقضة ، يكذب آخرها أولها ، ومن هؤلاء العلماء من تغلب عليه السطحية ، ويصدق كل ما يقال له.
والسبب الثانى : أن أهم ما تنشره الصحف العربية تقوم بترجمته عن الصحف الغربية ، وهذه - والله - هي البلية بعينها أن يحدثنا الغربيون من النصارى واليهود عن خفايا أمورنا وأسرارنا ، وبعد كل حدث يحدث في بلادنا تتجه أنظارنا إلى صحفهم وأجهزة إعلامهم لنجد فيها الوثائق والأسرار. وإذا كان الأمر كذلك فنرجو أن نوفق في غربلة ما ينشرون فنرد أكاذيبهم وما أكثرها ، وننقل عنهم ما يثبت عندنا بعد التمحيص والتثبت.
ثالثاً : تتحكم العواطف في عقول كثير من الإسلاميين في مثل هذه الظروف ، ولا يقبلون شيئاً يصدم عواطفهم وينكأ جراحهم ، ولو كان حقاً ومدعوماً بالشواهد والأدلة. ونحن لا ننكر أن لنا عواطف كما أن لهم عواطف ، ونشعر بعظم المصيبة التي وقعت في بلد نحبه ونحب أهله ، ونعرف حجم الضرر الذي لحق بإخواننا المجاهدين الأبطال من رجال الأفغان ، ونعلم أن ضياء الحق أعطاهم عهداً بعد التوقيع على معاهدة جنيف بأنه لن يتخلى عنهم.. نعرف هذا وغيره لكننا سنقول في هذا التحليل ما نعتقد أنه حق ، ولو كان يصدم عواطف كثير من الناس ، والذي نرجوه من الذين يخالفوننا أن ينظروا في الأدلة التي اعتمدنا عليها ، وإن

أصروا بعد هذا على موقفهم فعليهم أن يتذكروا أن هذه المسألة من المسائل التي يجوز فيها الاجتهاد واختلاف وجهات النظر.
وبعد ذكر هذه الملحوظات ننتقل إلى خطوة أخرى ينتظرها القارئ بفارغ الصبر ، وطبيعة الموضوع تفرض علينا تقسيمه إلى الفقرات التالية :
أولاً - نبذة عن حياة ضياء الحق.
ثانياً - المتهمون بقتل ضياء الحق.
ثالثاً - الدور الأمريكي في باكستان.
رابعاً - باكستان بعد ضياء الحق.

أولاً - نبذة عن حياة ضياء الحق :

ولد ضياء الحق في 12/8/ 1924 في مدينة "جولاندار" في مقاطعة البنجاب ، وتلقى تعليمه في كلية (سانت ستيفنز) في دلهي والتحق بعدئذ بالجيش البريطاني في الهند ، وأصبح ضابطاً فيه سنة 1945 - سلاح الفرسان - وفي عام 1948 رحل مع أسرته إلى كراتشي في دولة باكستان الجديدة وأصبح ضابطاً في جيشها ، وكان يعرف عنه أنه ضابط هادئ منضبط ، وليس له طموحات سياسية ، وكان يحب العسكرية كما كان محبوباً بين زملائه ومرؤوسيه.
وفي باكستان واصل علومه العسكرية ، وتخرج من كلية الأركان عام 1955 ثم عاد ليعمل مدرساً في الكلية المذكورة.
وفي 1965 عام شارك في الحرب التي نشبت بين باكستان والهند ، وفي عام 1969 سافر للأردن وعمل مستشاراً عسكرياً ، ومن الجدير بالذكر أن علاقات الأردن مع باكستان متميزة ، وشهد في الأردن معارك أيلول ، وفي عام 1971 شارك في الحرب الهندية الباكستانية التي انتهت بانفصال الجزء الشرقي من باكستان عن الجزء الغربي ، وسميت هذه الدولة (بنغلاديش).
وفي عام 1977م اتخذ الرئيس الباكستاني السابق قراراً بترقية ضياء الحق إلى رتبة جنرال ، وعينه قائداً للجيش ، وتجاوز - بوتو - جنرالات آخرين كانوا هم أقدم من ضياء الحق ، وذلك بسبب ثقة بوتو به واطمئنانه إليه.

وفي عام 1977م راح بوتو ينكل بخصومه وقاوم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، وعمل على نشر الأفكار العلمانية، وثقافة الغرب وأخلاقياته ومفاسده ، فعارضته الجماعات الإسلامية ، وأدت هذه المعارضة إلى وقوع قلاقل واضطرابات ، انتهت باستيلاء الجيش على زمام الأمور في البلاد ، وكان ضياء الحق قائد الانقلاب العسكري الذي أطاح بنظام بوتو وقدمه إلى محاكمة ، وحكمت عليه المحكمة بالإعدام ، وتم إعدامه فعلاً؛ لأنه دبر جريمة قتل أحد معارضيه.
وشكل ضياء الحق حكومة شاركت فيها الجماعات الإسلامية مهمتها تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية غير أنه تراجع فيما بعد أمام معارضة أمريكا والدول الغربية ، وشركائه العسكريين.
وفي عام 1979م وقف ضياء الحق إلى جانب المجاهدين الأفغان في حربهم ضد الغزاة البلاشفة السوفيات ، ومهما كان هدفه من تأييد المسلمين الأفغان - والنيات لا يعلمها إلا علاَّم الغيوب - فقد اكتسب شهرة عالمية ، وتعززت علاقاته مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وتدفق المال والسلاح على باكستان بعد فتور في العلاقات بسبب المفاعل النووي وغيره.
وفي عام 1981 لعب دوراً مهماً في اللجنة التي شكلها مؤتمر القمة الإسلامي لتسوية النزاع بين العراق وإيران ، وفشلت اللجنة في مهمتها أمام تعنت إيران وإصرارها على استمرار الحرب ، واعتبرت العراق ضياء الحق طرفاً في النزاع وليس وسيطاً ، واتهمته بالانحياز إلى جانب إيران.
توفي في 17/8/1988 بعد سقوط طائرته وترك وراءه أرملة وولدين وثلاث بنات.

ثانياً - المتهمون بقتل ضياء الحق :

من حق القراء علينا أن نطلعهم على أهم ما نشرته الصحف ووكالات الأنباء عن مقتل الرئيس الباكستاني ، وبعد هذا العرض سنقول رأينا ونبين موقفنا والقرائن التي اعتمدنا عليها.
وخلاصة ما نُشر - فيما اطلعنا عليه - ينقسم إلى ثلاثة أقسام :
1- السوفيات والهنود.
2 - أتباع إيران.

3 - الجيش الباكستاني.

أولاً : السوفيات والهنود :

قالت صحيفة "أوبزرفر" - في عددها الصادر بتاريخ 28/8/1988 - : "أصبحت السلطات الباكستانية الآن مقتنعة بمسؤولية جهاز المخابرات الهندية عن تحطم طائرة ضياء الحق. وفشل فريق الخبراء الأمريكي الذي تولى مهام فحص حطام الطائرة في الوصول إلى معرفة سبب الحادث. غير أن راجيف غاندي رئيس وزراء الهند أعلن - في أعقاب مقتل الرئيس ضياء الحق - أن حكومته غير مسؤولة عن الحادث ، كما أعلن الحداد لمدة ثلاثة أيام في جميع أنحاء الهند ، إلا أن مسؤولين باكستانيين على مستوى رفيع لاحظوا باهتمام وصول 300 من رجال جناح الأبحاث والتحليل الهندي - أي جهاز المخابرات المسؤول عن القضايا الخارجية - إلى كابول قبل حادث الطائرة. وتعتقد باكستان بأن هناك تحالفاً بين المخابرات الهندية وجهاز المخابرات الأفغاني (خاد) ، وجهاز المخابرات السوفياتي (كيه.جي.بي.) ، ويقال إن جنرالاً سوفياتياً مسؤولاً عن التنسيق بين هذه الأجهزة الثلاثة.

ومن المؤكد أن معظم جهود وعمليات جهاز المخابرات الهندي موجهة مباشرة ضد باكستان ، ويعترف المسؤولون في إسلام آباد باختراق جهاز المخابرات الهندي لقواتها المسلحة على مستويات منخفضة ، ويستفيد جهاز المخابرات السوفياتي ونظيره الأفغاني من هذا الاختراق في عملياتهم المشتركة ضد باكستان.

وجدير بالذكر أنه في صبيحة اليوم الذي تحطمت فيه طائرة الرئيس ضياء الحق - أطلق (14) صاروخاً على المجمع النفطي الكبير في ميناء كراتشي المعروف باسم كماري ولكن هذه الصواريخ التي يتهم الباكستانيون الهند بإطلاقها - لم تصب أهدافها ، ولو أصابت أهدافها لاشتعل نصف مدينة كراتشي. وتؤكد تقارير الصحف الباكستانية أن طائرتين عموديتين تابعتين للجيش الأفغاني هبطتا عن طريق الخطأ في قضاء خرّم الواقع في شمال غرب باكستان كانتا تقلان ضباطاً سوفيات وهنوداً ، ويعتبر وجود الضابط الهندي تأكيداً آخر على التعاون بين دلهي وكابل وموسكو.

وفي إقليم السند الجنوبي من باكستان - الذي يشهد حالة من الاضطرابات - تشير أصابع الاتهام إلى عملاء جهاز المخابرات الهندي بتمويل المجموعة المحلية المنشقة. ويقال إن المساعدات الهندية لهذه المجموعات الانشقاقية هي رد على الدعم الباكستاني المزعوم للمتطرفين السيخ الذين يطالبون بالاستقلال في إقليم البنجاب في الهند ، ورغم أن دلهى هي كما هو متوقع الطرف الذي تلقي عليه إسلام آباد مسؤولية معظم المشاكل التي تواجهها إلا أنه مما لا شك فيه أن الهند ونظام كابول - المدعوم من جانب السوفيات - يعملان معاً ضد المجاهدين الأفغان.

فثمة مصلحة مشتركة تجمع الهند وأفغانستان في الحيلولة دون وصول المجاهدين الأفغان الذين كانوا يحظون بدعم ومساندة الرئيس ضياء الحق إلى السلطة في أفغانستان بعد إكمال الانسحاب السوفياتي. وكانت نية الرئيس ضياء الحق المعلنة أن يحتفل بالانتصار الأخير للمجاهدين ، وذلك بأداء الصلاة في المسجد المركزي في العاصمة كابول. وكانت الهند قلقة من أن انتصار المجاهدين سوف يرجح ميزان القوى ضد مصلحتها في المنطقة.

- ونقلنا في طليعة هذا التحليل ما نشرته "صنداي تايمز" - في عددها الصادر بتاريخ 28/8/1988 - عن تهديدات المسؤولين السوفيات في موسكو العلنية لضياء الحق ونظامه ، وأضافت الصحيفة :

"وكانت موسكو قد تعرضت لنكسة كبيرة في 13/8/1988 عندما دمر صاروخان أطلقهما المجاهدون أكداساً هائلة من العتاد خارج مدينة كابول ، وقالت مصادر رسمية أمريكية أن 500 من الروس سقطوا قتلى فيما جرح أكثر من 1000 آخرين ، كما دمرت كميات من الأسلحة التابعة للحكومة كانت كافية لمدة سنة.

وصدرت عدة تصريحات لمسؤولين حكوميين - منهم رئيس الوزراء وغيره - تشير إلى أن أجهزة الأمن الباكستانية كانت لديها معلومات تفيد أن أعداء ضياء الحق من.السوفيات وعملائهم في

كابول وحلفائهم في دلهي يخططون لقتل ضياء الحق وأن الأخير أجاب عندما أخبروه : "الموت والحياة بيد الله".

ثانياً - دور أتباع إيران :

هناك من يقول : إن أتباع إيران وراء تنفيذ هذه الجريمة ، ويذكرون شواهد على ذلك نوجزها فيما يلي:

1- صباح 5/8/1988 تم قتل المدعو عارف حسين الحسيني رئيس حركة تطبيق الفقه الجعفري في باكستان ، ونفذ القاتل عمله بواسطة مسدس كاتم للصوت ، وألقى المسدس فوق الجثة وفر بعيداً ولم يعثر له على أي أثر ، واتهم أنصاره الحكومة بالقتل في بيان نشرته صحيفة نواي وقت بالأردو بتاريخ 7/8/1988 وتعهدوا بالثأر له ، رغم اهتمام ضياء الحق الشديد بمقتل زعيم الشيعة ، وكان أحد الذين صلوا على الجنازة. كان ذلك قبل مقتل ضياء الحق بعشرة أيام.

2 - ضياء الحق كان متهماً من قِبَل العراق بانحيازه لإيران ، وثبت أنه قدم لهم مساعدات كثيرة ، وغض الطرف عن نشاطهم في باكستان ، ومع ذلك فمؤامرات إيران ضده لم تنقطع ، وكانوا يقاومون مبدأ تطبيق الشريعة الإسلامية بمختلف وسائلهم وطرقهم المعروفة ، ولا يتورعون عن التعاون مع أعداء الإسلام داخل باكستان وخارجها ، ولهذا فمن يراقب تحركاتهم خلال السنتين الماضيتين يعلم أن صِلاتهم مع الهند من جهة ومع الاتحاد السوفياتي من جهة أخرى كانت قوية جداً ، وكانوا يتعاونون مع هاتين الدولتين ضد المسلمين السنة في باكستان. وأفغانستان.

3 - قالت صحيفة "صنداي تايمز" - في عددها الصادر بتاريخ 21/8/1988 :

"... والشيعة في طليعة الذين يتشوقون لسماع نبأ موت ضياء الحق ، ويكنُّون له كل كراهية لعلاقاته مع أمريكا (5)، ولتطبيقه أحكام الشريعة الإسلامية السنية ، ويعتقدون أن ضياء الحق كان وراء اغتيال عارف الحسيني - زعيم طائفتهم - في منطقة قرب بيشاور ، وأقسم أتباعه على الأخذ بالثأر ، كما أنهم احتفلوا حين سماعهم نبأ مقتل ضياء الحق".

وقالت صحيفه "جارديان" - في عددها الصادر بتاريخ 19/8/1988 - :
"وأقام الشيعة احتفالات احتفاءً بمقتل ضياء الحق في مختلف المناطق التي يكثرون فيها ، ومنها براشنار على الحدود الباكستانية الأفغانية وقد اعتقلت الشرطة الباكستانية مائة منهم لإطلاقهم الأعيرة النارية في الهواء تعبيراً عن فرحتهم ، وفي مدينة مجاورة خرجت جموع السنة في موكب ثأري".
وذكرت "فايننشيال تايمز" - في عددها الصادر بتاريخ 19/8/1988 - : أن المتشددين الشيعة هم المتهمون بمقتل ضياء الحق.
4 - ذكرنا في المقال السابق - "باكستان وتحكيم الشريعة الإسلامية" - أن لأتباع إيران ثقلاً في الجيش - رغم أن نسبتهم من عدد السكان لا تتجاوز 5% وهم يزعمون أنها أضعاف هذه النسبة - وأشارت "جارديان" - الصادرة بتاريخ 24/8/1988م إلى نفوذ الشيعة في سلاح الجو فقالت :
"يجري التحقيق مع أفراد من الأقلية الشيعية يعملون في سلاح الجو الباكستاني ، متهمين بحادث إسقاط الطائرة ، ويقول دبلوماسى رفيع المستوى : إن فريق الخبراء الأمريكي الباكستاني المشترك قد أخبر أن عضواً في طاقم القيادة في الطائرة الرئاسية كان شيعياً متحمساً وناقماً بسبب اغتيال زعيم الطائفة الشيعية الذي تم في 7/8/1988 ويبحث الفريق الآن في احتمال قيام ذلك الضابط - عضو طاقم القيادة - بوضع قنبلة على متن الطائرة ، أو قيام أحد غيره بإحداث أمر ما أدى إلى خروج الطائرة عن نطاق السيطرة ، وحسبما يقوله مصدر دبلوماسى آخر فإن فريق التحقيق مازال يحقق في النظرية القائلة : إن عمال الشيعة على أرض مطار باوالبور قاموا بتهريب مواد متفجرة إلى الطائرة ، ويصر السياسيون الباكستانيون أن سقوط الطائرة جاء نتيجة لعمل تخريبي ، وأنهم لا يستطيعون الإفصاح عن هوية الفاعل".
وإذن فقائد الطائرة - أو عضو في طاقم قيادة الطائرة الرئاسية من الشيعة المتحمسين لإيران - ووزير دفاع آخر حكومة باكستانية

أمر بتشكيلها ضياء الحق - محمود هارون - من شيعة إيران ، فماذا بقي من أسرار أجهزة أمن ضياء الحق ؟! ، ومن قبل مر ذكر كثافة وجودهم في سلاح الجو هذا الذي عرفنا - على الرغم من اطّلاعنا المتواضع - وما لم نعرفه أكثر ، والأمر لله من قبل ومن بعد.

ثالثاً - الجيش الباكستاني :

قالت صحيفة "جارديان" - في عددها الصادر بتاريخ 19/8/1988 م - ما يلي :

"عندما كان المحققون يفحصون حطام الطائرة سي:135 التي تحطمت يوم 17/8/1988 والتي كانت تقل ضياء الحق ، كانت أصابع الاتهام تتجه إلى الجيش الباكستاني ، وفي خضم عدد من النظريات التي تحاول تفسير لغز الحادث برده إلى قوى خارجية غير مسماة ، وإلى سياسيين متعصبين ، يرى المحللون أن البحث عن القتلة يجب أن يبدأ بين أوساط الجيش ما لم تتم الإجابة عن الأسئلة الحاسمة التي تبين الظروف التي قتل بها ضياء الحق.

وضياء الحق كان لا يسافر في العادة إلا في وسط احتياطات أمن صارمة ، وكان يعتمد في ذلك بشدة على الجيش ، كما أنه كان يصطحب معه على طائرته - طبعاً ليس حباً في الصحبة - فريق من التقنيين الذين يقومون بخدمة وصيانة الطائرات التي يسافر بها ، ويشرف على هذه الترتيبات المخابرات العسكرية المعروفة باليقظة والحذر لاسيما بعد محاولة الاغتيال التي جرت في عام ، وهناك أجهزة أمنية أخرى تشارك المخابرات العسكرية دورها.

وكان ضياء الحق ينتقل - يوم 17/8/1988- من قاعدة شديدة الحراسة قرب بهاوالبور إلى أخرى في روالبندي ، والأهم من ذلك أن رحلته غير معلن عنها وغاية في السرية ، وكان من بين ما شملته مشاهدة عرض سري لدبابة (M1) الأمريكية ، ويقول المحللون طالما أنه من الصعب الاعتقاد أنه بمقدور المخابرات الأفغانية (خاد) أو غيرها جمع معلومات كافية عن تنقلات ضياء الحق بحيث تمكنهم من وضع قنبلة أو منصة إطلاق صواريخ في طريق الطائرة ، فإنه من المرجح أن يكون ضباط غير موالين للنظام من المخابرات العسكرية قد حصلوا على معلومات عن

رحلات ضياء الحق وتحركاته. والجيش الباكستاني حافل سجله بمثل هذه المؤامرات. ونظراً لقسوة ضياء الحق مع خصومه ، فقد يكون الضباط الكبار الذين يمكن الاعتماد عليهم أصبحوا أقل من قليل. وفي المرتبة التي تلي ضياء الحق ورجاله الكبار نجد ضباطاً منقسمين على أنفسهم ، وبعضهم يتعاطف مع "بي نظير بوتو" ، ، كما أن كثيراً منهم ذوو ثقافة غربية ولهذا يعارضون توجهات ضياء الحق الإسلامية ، وعلى مختلف اتجاهات الضباط فمعظمهم يعارضون تورط باكستان في أفغانستان".
وقالت مصادر رسمية باكستانية : "إن إمكانية الوصول إلى الطائرة كانت مقصورة على شخصيات عسكرية رفيعة المستوى. ويستبعد الخبراء العسكريون أن يكون سقوط الطائرة بسبب عطل تقني ؛ لأن الطائرة سي 130 من أكثر طائرات النقل استقراراً في العالم ويمكن أن تحلق بمحرك واحد وأن تهبط في أي مكان يتسع لها ، وهناك متسع في مكان الحادث ، ولو كان الأمر ناتجاً عن عطل تقني لكان الطيار قد اتصل بالراديو ثم حاول الهبوط ولكنه لم يفعل".

وكالات الأنباء 18/8

وذكرت وكالات الأنباء م عن مصادر رسمية أن السلطات الباكستانية حققت مع 500 شخص بعد أن ألقت القبض عليهم ، وذلك في مدينتي باوالبور وملتان الشرقيتين ، وفي قاعدة "تشاكالا" الجوية القريبة من إسلام آباد ، وفي مدينة لاهور الوسطى ، كما ألقت القبض على مسؤولي الأمن وعدد من عمال الأمتعة في مطار روالبندي الذي أقلعت منه الطائرة. وذكرت وكالة رويتر - في عددها الصادر بتاريخ 24/8 نقلاً عن ضابط متقاعد من الجيش -قال : إن المحققين يستجوبون 55 جندياً من سرية المدفعية الثانية والعشرين كانوا يتولون حراسة الطائرة ، وعاملين في سلاح الجو لم يحدد عددهم بخدمة الطائرة وصيانتها خلال وجودها في باوالبور وطلب الضابط المتقاعد وهو برتبة ميجور كان يخدم سابقاً في السرية المذكور عدم الكشف عن اسمه.

ونقلت وكالات الأنباء الصادرة بتاريخ 21/8/1988 عن الرئيس الباكستاني بالوكالة قوله:
"إن العدو اخترق الدفاع للبلاد مضيفاً أن لبلاده أعداءً في الداخل والخارج يمكنهم تنسيق عملهم".
ومن يتصفح أسماء الذين قتلوا مع ضياء الحق يتعجب من قوة اطلاع الذين نفذوها. لقد قتل في هذه المجزرة رئيس أركان الجيش الجنرال أخطر عبد الرحمن الذي كان الساعد الأيمن لضياء الحق ، وكان يتولى مسؤولية الاتصال مع المجاهدين الأفغان ، ويدربهم على الأسلحة التي تقدمها لهم الولايات المتحدة الأمريكية ، وقتل معه تسعة من كبار الضباط المعروفين بولائهم لضياء الحق ، وكانوا أصحاب القرار في الجيش ، وكأن الذين اخترقوا الجيش الباكستاني هم الذين خططوا لهذه الرحلة ليتخلصوا من جميع الذين يزعجونهم ويقلقونهم ، ولينفردوا بعدهم بشؤون الحكم.
وقالت صحيفة "هانغ" - الناطقة بالأردو - إن بعض الأشخاص في المطار دسوا مادة قابلة للاحتراق في الطائرة ، وإذا ما صح هذا الافتراض فأجهزة الأمن تريد معرفة أسباب إخفاق معدات الكشف في المطار في معرفة هذه المادة.
والذي نراه : أن جيش ضياء الحق هو الذي قتل ضياء الحق ، فلو قبلنا الرواية التي تقول : إن السوفيات وعملاءهم في كابول هم الذين دبروا هذا الحادث - لكان من مستلزمات قبولنا لها القول : إنهم - أي السوفيات - استخدموا عملاء لهم في المخابرات أو في سلاح الجو الباكستاني في تنفيذ هذه المهمة ، وقُلْ مثل ذلك عن الهنود والإيرانيين ، وهذا الذي حذرنا منه في مقالنا السابق ، وهذه هي سيرة قادة جيوشنا المعاصرة.
وكنا نعلم أن الجهات المسؤولة في إسلام آباد وواشنطن لن تعلن عن هوية المسؤولين عن هذه الجريمة ؛ فالولايات المتحدة الأمريكية لا تريد مواجهة عسكرية مع السوفيات أو مع الهند أو حتى مع إيران ، ولو خسرت رجلاً من أبرز سفرائها في الخارج ، وهذا القول يفسر لنا الخبر التالي :

- "صرح مسؤولون باكستانيون في الأسبوع الأول - الذي أعقب تحطم الطائرة أي من 22 إلى 27/8 - أن الولايات المتحدة حريصة على عدم كشف حقيقة تورط الروس في الحادث". ونضيف : "وكذلك فإنها حريصة على عدم كشف تورط الهند وإيران".

- وذكرت وكالات الأنباء في 20/8 أن السلطات الباكستانية منعت الصحافيين - وحتى بعض المسؤولين الحكوميين - من الوصول إلى المنطقة التي تحطمت فيها الطائرة. وهذا المنع يدل على أنهم لا يريدون الإعلان عن نتائج التحقيق منذ البداية.

- ونشرت صحيفة "صنداي تايمز" - في عددها الصادر بتاريخ 11/9/1988 - الخبر التالي : "بات المحققون الباكستانيون مقتنعين أن طائرة ضياء الحق تحطمت بسبب انفجار قنبلة فيها ، وتقول المصادر الرسمية في إسلام آباد أن ست فرق تحقيق باكستانية وأمريكية توصلت إلى شبه إجماع على أن انفجار قنبلة كان السبب في سقوط الطائرة وتحطمها.

ويخشى المسؤولون أن يكون الإفصاح عن تورط تخريبي داخلي سبباً في تقويض الاستقرار السياسي الهش في باكستان ؛ ونتيجة لذلك يتوقع المسؤولون احتمال بقاء نتائج التحقيق سراً دائماً من أسرار الدولة.

وقال مسؤولون باكستانيون : إن مما توصل إليه فريق التحقيق التابع لشركة لوكهيد - المصنِّعة للطائرة - هو أن الطائرة لم تسقط بسبب عطل ميكانيكى ، أما المحققون العسكريون فهم مقتنعون بأن الأدلة القوية تشير إلى أن الطيار كان قد فقد السيطرة بعد وقوع انفجار منخفض القوة بالقرب من غرفة قيادة الطائرة. وبشكل استثنائي فقد اقتصرت التحقيقات على شخصيات عسكرية ، وتقول هذه المصادر إن نتائج التحقيقات تقدم مباشرة إلى الجنرال ميرزا إسلام بيك المسؤول عن عمليات التحقيق".

وجملة القول فإنهم يخشون من إعلان نتائج التحقيق ، ولو كان المتورطون حزباً أو جماعة من جماعات المعارضة، وكان أصحاب القرار من العسكريين والمدنيين المسؤولين من أصحاب ضياء

الحق ومحبيه لأعلنوا النتائج وكانت هذه هي فرصتهم للبطش بالمعارضة أو بركن من أركان المعارضة وتعريتها أمام الشعب.
ولو كان المتورطون هم السوفيات والهنود ، وكان أصحاب القرار في باكستان صادقين في قولهم بأنهم لن يغيروا أو يبدلوا من سياسة باكستان الداخلية أو الخارجية لوجب عليهم الإعلان عن نتائج التحقيق ليحرجوا هاتين الدولتين ، ويكسبوا عطف وتأييد المناهضين للإجرام وسفك الدماء.
فلم يبقَ أمامنا إلا احتمال واحد : أن يكون أتباع إيران هم المدبرين لهذه الجريمة ، وفي هذه الحالة يصعب أن يعلن المسؤولون نتائج التحقيق ؛ لأنهم في هذه الحالة يخشون حربا طائفية في البلاد ، وهم لا يمتلكون الجرأة ، ولا يريدون أن يكون مصيرهم كمصير ضياء الحق ، والأدلة التي ذكرناها - فيما مضى - على ترجيح هذا الاحتمال ليست ضعيفة ، أما أن الجيش هو الذي قتل ضياء الحق فهذا مما نجزم به.

عودة إلى تصريحات رئيس الدولة بالوكالة :

نقلت صحيفة "أوبزرفر" في عددها الصادر 28/8 - عن مسؤولين باكستانيين في إسلام آباد - اعترافهم باختراق العدو لقواتهم المسلحة.
ونقلت وكالات الأنباء 21/8 - عن الرئيس بالوكالة - قوله : "إن العدو اخترق الدفاع الداخلي للبلاد أن لبلاده أعداءً في الداخل والخارج يمكنهم تنسيق عملهم".
وهذا التصريح لابد أن يُفهم ضمن الأُطُر التالية :
1- جاء في ظروف بالغة الحساسية ، لا يستطيع المرء فيها أن يكبت عواطفه أو يكبح مشاعره ، جاء بعد مقتل ضياء الحق بأربعة أيام.
2 - طبيعة الرئيس الجديد متحفظ ، يحب أن يسمع ولا يحب أن يتكلم - سنذكر في موضع آخر أهم صفاته - ويعزف عن إصدار التصريحات والبيانات.
3 - صدر هذا التصريح عن رئيس باكستان بالوكالة وهذا يعني أنه يعكس أكداساً من التقارير الأمنية ، ويعبر عن وجهة نظر لجنة التحقيق الباكستانية ، ويعبر أيضاً عن موقف كبار القادة من

العسكريين والمدنيين ، وبسبب أهمية هذا التصريح وخطورته نريد أن يعرف كل مسلم في أي مكان من المعمورة ما يلي:
- أن اختراق الأعداء في الداخل والخارج لم يبدأ في 17/8 يوم سقطت الطائرة وقتل من كان على متنها ، ولا قبل هذا التاريخ بعام أو عامين ، ولم يكن قاصراً هذا الاختراق على حرب عام التي انتهت بانفصال باكستان الشرقية عن الغربية.
- لقد بدأ هذا الاختراق عندما تولى الإنكليز أمر تأسيس هذا الجيش عام 1947، وتولوا تدريب ضباطه وتعليمهم وتثقيفهم ، ولم يكن هذا التدريب - في العواصم الغربية - على السلاح بقدر ما كان على الأفكار والمجون والخلاعة والفجور.
واستمر هذا الاختراق عندما أُسند إلى الأمريكان أمر الإشراف على هذا الجيش ، فكانوا أقل ذكاءً ودهاءً وشجاعة من الإنكليز ، ولم يرضِهم ما كان يرضى به الإنكليز ، وأصبح خبراؤهم ومستشاروهم القادة الفعليين لهذا الجيش.
- وبدأ هذا الاختراق عندما خالف القائمون عليه من الباكستانيين تعاليم دينهم الحنيف ألا نستعين على مشرك بمشرك ، وفتحوا الباب على مصراعيه أمام الباطنيين والقاديانيين والشيوعيين وغيرهم وغيرهم من الملاحدة الفاسقين ، وأصبح هؤلاء قادة في البر والبحر والجو.
ومن يتصفح تاريخنا الإسلامي يعلم أن هؤلاء لم ولن يكونوا مخلصين لباكستان وغير باكستان من بلدان العالم الإسلامي ، ولن يكفوا عن الكيد والاختراق والتآمر ، ولن يتورعوا عن التعاون مع الشيطان وحزب الشيطان ضد المسلمين الذين يلتزمون منهج الصحابة - رضوان الله عليهم - وقاعدتهم المعروفة مَن ليس معنا فهو ضدنا. وسوف يستمر هذا الاختراق والتآمر مادام لهؤلاء وجود في جيوشنا.
- ومهما كانت الظروف التي دعت الرئيس الجديد بالوكالة إلى الإدلاء بهذا التصريح فقد كان صريحاً وجريئاً ، وغيره لا يعترف بهذه الحقيقة ، ولا يسمح لأحد أن ينطق بها ، أو يحذر من عواقبها على الرغم من وجود هذه الاختراقات وتكرار الهزائم بسببها ، ففي أعقاب هزيمة 1967 لم يقل قائد من قادة دول المواجهة

مع "إسرائيل" : لقد استطاع العدو اختراق جيشنا ، مع أن عجائز هذا البلد تتحدث عن هذه الاختراقات ، ونشرت وثائق عجيبة في العالم عن هذه الاختراقات ، وبعض هذه الوثائق نشرها الرفاق الذين كانوا يشاركون في صنع القرار أيام الهزيمة. نشروها بعد أن انقلب الود إلى ضده. ووثائق أخرى نشرها كوهين وباروخ نادل وغيرهما من جواسيس "إسرائيل" الذين زرعتهم في بلادنا.
أما الذين كانوا أسرع من الغزلان في الهزيمة ، ولم يطلقوا رصاصة واحدة ضد العدو ، فلقد امتلأت صدورهم وظهورهم وسواعدهم أوسمة وحازوا - فيما بعد - أعلى المناصب.

ليسأل كل مسلم نفسه :

هل يقبل الاتحاد السوفياتي مسلمين ملتزمين بالإسلام كضباط ، بل كجنود في جيشه ومخابراته ؟!
وهل يقبل اليهود في فلسطين المحتلة مسلماً في جيشه. هذه فلسطين المحتلة فاسألوا أهلها ؟!. وقل مثل ذلك عن الهندوس وغيرهم وغيرهم. بل أخبرونا بالله عليكم عن مسلم سني - ولو كان فاسداً منافقاً - تولى قيادة لواء من ألوية جيش الخميني أو تولى وزارة من الوزارات في حكوماته المتعاقبة ؟!
فإلى متى يقبل المسلمون أن يكون النصارى والباطنيون والشيوعيون والملاحدة ضباطاً وقادة في جيوشنا ؟!
وإلى متى نعيش غرباء في أوطاننا ؟!

الهوامش :

1 - صنداي تلغراف 28/8/1988.
2 - تايمز 19/8/1988.
3 - ليس في قولنا هذا تعريض لضياء الحق (رحمه الله).
4 - نستثني مجلات عربية إسلامية - على ندرتها - اهتمت بشؤون باكستان ونسأل الله أن تزداد كماً وكيفاً.
5 - كلهم ذاك الرجل.

تنويه

تتمة هذا الموضوع - "باكستان بعد ضياء الحق" - لن تُنشر في أعداد قادمة من "البيان" ، وستنشر - مع غيرها من الموضوعات

من ينقذ السودان ؟

بالإضافة إلى مـا عـانـاه السودان من الصعوبات المتواصلة ، وما يلاقيه من مختلف المعوقات التي تعوق نموه وتـقـدمه - فإن كارثة الفيضانات الأخيرة جاءت لتضيف عبئاً جديداً على كاهل هذا البلد العربي المسلم.

وهكذا أضيفت إلى ما سبقها من الحكم الديكتاتوري ، والجفاف الطويل ، والحرب الأهلية ائتي تغذيها القوى الخارجية التي لا يسرها هدوء العرب ، ولا استقرار المسلمين.

فقد داهمت السيول والأمــطــار الــسودان فشردت عشرات الآلاف من السكان وجعلت نهر الــنــيــل يفيض ليغرق المساكن والمدخرات ، ويدمر المحاصيل الزراعية ويشل حركة معظم البلد تقريباً .

إن ما يزيد الـمـأسـاة هو أن هذا الطوفان أضاف إلى معاناة الأعداد الكبيرة من السكان الذين يسكنون في ضواحي الـمـدن في بيوت متواضعة ، وفي أحوال يصعب وصفها ، وأكثرهم من اللاجئين الهاربين من مسرح الحرب الأهلية الدائرة والتي يشب نارها الصليبيون والذين يدعمونهم من أعداء السودان الخارجيين.

والدروس المستفادة من هذه الكارثة كثيرة منها :

1- إن مساعدات العالم الغني لم تكن كما هو منتظر ، وهذا واضح من اعترافات المسؤولين السودانيين ، ومن مقارنة المعونات التي قدمتها هذه الدول بما قدمته بعض الدول العربية والإسلامية. مع أن هذه الدول الغنية عليها التزام أدبي بمساعدة الدول الفقيرة أو التي تتعرض للكوارث التي لا يد لها فيها ، وهذا يوضح انحياز هذه الدول وضعف أخلاقياتها.

2- لقد انتهزت هذه الدول الغنية (الأوربية والأمريكية) هذه المناسبة لتكيل (عبر مراسليها الصحفيين وإرســالــيــاتـها

التنصيرية) التهم جزافاً للحكومة السودانية ، وتصفها بالقصور والتمييز في توزيع مواد الإغاثة وقبل وصول هذه المواد أحياناً ، ولم توجه كلمة لوم واحدة للمتمردين وقطاع الطرق الذين يقودهم "جون قرنق" ونحن نتساءل : تُرى لو كانت الأدوار متبادلة ، وقرنق هو الحاكم الشرعي للسودان ومن اتهمتهم هم المتمردون أين ستميل عواطفها الإنسانية ؟!

3- يجب على الدول العربية والإسلامية أن تعتمد على نفسها، وتتكافل من أجل مساعدة بــعـضـهـا بـعـضـاً، فليس هناك بلد معصوم من الكوارث، وغير معرض للجوائح والمصائب الجماعية، لعل في ذلك ما يساعد على جمع الشمل ، والتنبه إلى العمل بروح جماعية بين الدول العربية ، وتكون للكوارث والمصائب حكمة وفائدة كما قال الشاعر :

"إن المصائب يجمعن المصابينا"

4- أن بلداً كالسودان كان ينبغي أن يحسب حساباً لهذه الفيضانات التي وإن كانت مدمرة في قوتها وغزارتها - لكنها لها سابقة في تــاريــخ هــذا الـبــلــد ، وعلى هذا فإن من أشد الضروريات أخذ الاحتياطات اللازمة ، وتقديم المعلومات للـسـكــان الـقـريـبـين من المناطق المعرضة لذلك أكثر من غيرها ، هذا على الأقل ، إذا لم يكن بالإمكان وضع حـل يـخـفـف من الآثار المدمرة لهذه الفيضانات.

الانتخابات الرئاسية في لبنان

كـان يـوم الخـمـيـس المـوافـق للـثـامن عشر من شهر "آب" المنصرم هو الموعد المقرر لإجراء الانتخابات الرئاسية في لبنان لتعـيـين الـرئـيـس الجديد الذي سيخلف الرئيس الحالى في الأعوام الستة القادمة.

إن الراصد لمجريات الأحداث عن كثب في بلد كلبنان ليدرك تماماً وبدون عناء أن قرارات رئـيـسـية كالانتـخـابـات الـرئاسية وما شاكلها لا يكون لها أن تمضي دون مباركة من قِبَل واضـعـي

سـيـاســات ذلك البلد ممن تكمن مصالحهم الخاصة في إبقائه في هذه الدوامة من الـنكـبـات والـفـواجـع في انتظار اللحظة المناسبة للإجهاز عليه تماماً واقتسام أشلائه، وفي طليعتهم الأنظمة الباطنية و"إسرائيل" وأمريكا وآخرون.

وبغض النظر عمن وضع أو سيوضع على كرسي الرئاسة هذه المرة ، فإنه من المعروف جيداً أن الـنـفـوذ الذي يتمتع به شاغل هذا المنصب في لبنان بات لا يمكّنه من البت في اتخاذ أبـسـط الـقـرارات السياسية مهما كانت تافهة بل إن سلطاته لا تكاد تتعدى أسوار قصره، وعلى الرغم من ذلك فإن القوى الخارجية ذات المصالح الخاصة في لبنان - ما فتئت تسعى جادة لضمان فوز مرشحها الذي ينفذ رغباتها ليكون فيما بعد ريشتها التي ترسم بها - وبـشـيء من الـشـرعية - سياساتها الإجرامية المستقبلية ضد شعب هذا البلد المنكوب؛ لذا فإنه من غير الحكمة الوقوف طويلاً عند هذه الانتخابات التي لا تنطوي على أية منفعة مرجوة بالنسبة للمسلمين، ولا التلهف لمعرفة إفرازاتها، لاسيما أن جميع مرشحي الرئاسة - وكما هو معروف - من الموارنة المـتـعصبين لطائـفـتـهـم ، ولا يبقى لأهل السنة إلا فتات الموائد.

إن ما يجب أن يحرص أبناء السنة في لبنان - على مختلف فئاتهم - على تحقيقه وإعطاء الأولوية له وفي ظروف حـرجـة كالـتي يـمـرون بـهـا - هـو مـبـدأ التعاون والتناصح ونبذ الخلافات الجانبية والوقوف سداً منيعاً في وجه المتآمرين ضدهم، كما أن عليهم أن يشمروا عن ساعد الجد لإبراز شخصيتهم المستقلة ودورهم المتميز الواضح تجاه مجريات الأحداث وأن يسعوا ليكونوا هم الوجه الحقيقي للمسلمين هناك، وأن يـفـوتوا الفرصة على المتاجرين باسم هذا الدين ، كما يجب أن يكون لهم منبرهم المستقل وأن لا تكون أصواتهم منطلقة من خـلال مـنـابـر غـيـرهم من الطوائف والنِّحَل التي تزخر بها أرض لبنان ممن يُظهرون لهم المودة ويبيتون لهم الحقد والكراهية الدائمين.

آخر الكوارث في بنغلاديش

رغـم اعـتـياد أهل بنغلاديش الكوارث فإن كارثة هذا العام فريدة من نوعها ، فقد تواصل هطول الأمطار ، وعمت الفيضانات أغلب أنحاء البلاد ، وكان هناك دمار شامل لكثير من البيوت والمحاصيل الزراعية ، حيث إن 47 من 64 محافظة غطتها المياه ولحقتها أضرار بالغة ، أكثر من 33 ألف ميل مربع من البلاد ، وأصبح أكثر من 25 مليون نسمة مشردين بدون مأوى ، والأخطر من ذلك كله أن عمليات الإنقاذ والإغاثة أصبحت غير ممكنة وقد غمرت السيول مطار دكا المـركـزي؛ فـتـعـذر نـزول الطائرات التي تحمل مواد الإغاثة من أنـحـاء الـعـالـم، وقد تعطلت حركة النقل والمرور البرية وكذلك خطوط السكك الحديدية توقفت نتيجة للسيول التي جرفت أكثر من 250 جسراً، وأصبحت وسيلة النقل هي السفن والزوارق عبر السيول التي غمرت الشوارع والساحات والـطــرق. واضـطـر الناس إلى شرب المياه الموحلة والمختلطة بمياه المجاري التي سببت الأمراض السارية. ورغم أنه ليس هناك إعلان رسمي عن عدد قتلى الفيضانات فقد قُدروا بأكثر من ألفي قتيل ، وهذا غير الأعداد الهائلة من المصابين بحالات الإسهال والتلوث.

وقد انتهت المشكلة الرئيسية إلى نقص في الدواء، والماء الصالح للشرب، والطعام المطبوخ. وكل ذلك يعتمد على إمكانية هبوط الطائرات في مطار دكا، تعتبر بنغلاديش من أفقر وأكثر الدول ازدحاماً بالسكان (110) مليون ومعدل الدخل السنوي (120) دولار للفرد.

وهناك أضرار بالغة لحقت المحاصيل الزراعية: قصب السكر، والقـنب، والخـضـار، وقد أتـت الـســيـول على كـثـير من مدخرات الدولة من الحبوب ، وعلى مدخرات السكان من البذور. والفيضانات تسبب مشكلة دائمة لبنغلاديش لاجتماع عدة أنهار غزيرة على رقعة أرضها الضيقة ، وهذه الأنهار هي : الغانج ،

براهما بوترا ، جاموتا ، وماغنا ، وما يتفرع عنها من فروع لا تحصى ، تفيض كلها على السهل الساحلي وتصب في بحيرة البنغال.
وقد أصبحت هذه المشكلة صعبة وملحة منذ انحسار بنغلاديش داخل حدودها الحالية بعد تقسيم شبه القارة الهندية ثم بعد انفصال بنغلاديش عن باكستان، وكل ذلك طبعاً ببركات الاستعمار البريطاني الذي ظل جاثماً على الهند قروناً طويلة ثم تركها نهباً للفقر والفرقة.

أخبار حول العالم

انتشار الإسلام

لا يــكــاد يـمضي شهر واحد دون أن تحتل أخبار الإسلام الصفحات الأولى في الصـحف؛ فـالإسـلام أســرع دين في الانتشار في العالم ، ويشكل المسلمون الغالبية العظمى في إحدى وأربـعـين دولة ، وفي خمسين دولة أخرى يمثل المسلمون أقليات ضخمة ، ويعزى ذلك إلى ارتفاع نسبة المواليد بين المسلمين ، ولا يزال الإسلام يكتسب أرضية واسعة..
فـفـي مـصـــر - وفي بداية السبعينات - لم يكد يكون هناك طالبة واحدة ترتدي الحجاب الإسـلامــي فـي أروقـة الجامعة ، أما اليوم فإن الطالبات اللاتي لا يرتدين الحجاب بِتن يـقـاطـعـن مـن قـبـل الأخريات المحجبات، وفي ماليزيا ترتدي الفتيات ما يغطي شعورهن ابتداءً من سن السادسة حتى إذا ما بلغن سن الرشد لِبسن الحجاب الكامل ، وفي تركيا قد بات أداء الصلوات في الأماكن العامة والطرقات ظاهرة ملفتة للنظر لا سيما في المدن الصغيرة الواقعة في شــرق الأناضــول التي يتزايد فيها نشاط الجماعات الدينية ، وكانت تركيا قد أعلنت دولة علمانية في العشرينات من قِبَل زعيمها أتاتورك ذي الاتجاهات الغربية ، وفي دولة فقيرة (مالي) يحرص الفـتـيـان والفتيات على تعلم تلاوة القرآن على الرغم من صعوبة قراءة الأحرف العربية ، وفي السنغال تقوم الدراسات الدينية الإسلامية بنشر آيات القرآن الكريم على ألواح من الخشب لغرض دراستها ، وفي الاتحاد

السوفياتي - حيث يبلغ عدد المسلمين من 55 إلى 60 مليوناً وهم الأغلبية في خمس جمهوريات من أصل (15) - تخشى السلطات الحكومية من انتشار الأصولية بين صفوف المسلمين هناك.

"تلغراف" الأسبوعية 7/9/1988م

****

ارتـفــع عــدد المسلمين في الولايات المتحدة من حوالي عشرة آلاف مسلم سنة 1900 إلى 3 ملايين مسلم في الـوقــت الـحـالـي ، وينـتـمـي غالبية هؤلاء إلى مهاجرين قادمين من دول إسلامية ، ولكن نرى أن ثلث هذا المجموع أمــريـكـيــون ممن اعتنقوا الإسلام وخاصة من السود.

وفي هولندا قبل وزير الثقافة مؤخراً - نتيجة لضغوط المسلمين مدة عشر سنوات - باستيراد 13 ساعة من البرامج التلفزيونية ، وتخصيص 52 ســاعــة إذاعـيـــة في السنة للدعوة إلى الإسلام باللغة الهولندية.

عن مجلة "إسلامك وورلد ريفيو"

****

الأطفال يدفعون الثمن

تـمـخـض مـؤتـمـر دولي عقد في مدينة ريمي (إيطاليا) في الأسبوع الثاني من شهر أيلول عن صورة مروعة عن الاستغلال والإساءة اللذين يلقاهما الأطفال في دول مختلفة في العالم.

فقد أكد مندوب لبنان الخاص لدى المؤتمر أنه في خلال مدة ثلاثة أشهر من هذه السنة - نيسان ، أيار ، حزيران - تم العثور على جثث (17) طفلاً في دهاليز وسلالم أبنية مدينة بيروت.

وتوضح الإحصائيات (التي لم تخضع للتمحيص) القادمة من لبنان كيف أصبح الأطفال الضحية الأولى للحرب الأهلية ، فمنذ عام 1975 م وحتى اليوم بلغ عدد الضحايا من الأطفال اللبنانيين (700) ألف مصاب ، (17) آلاف مفقود ، (100) ألف يتيم (14) ألف مخطوف (عثر على جثث (10) آلاف منهم) بالإضافة إلى (100) ألف آخرين من المقاتلين المسلحين المنتشرين في الشوارع.

وتكلم متحدث آخر في المؤتمر عن اعتقال الأحداث الذين بلغ عددهم (11) ألف في جنوب إفريقية وحدها على سبيل المثال ، وعن المتسولين من الأطفال - (50) ألفاً في أثيوبيا - وكذلك الأطفال المهجورين من قِبَل آبائهم (في الشوارع (40) مليوناً في أمريكا اللاتينية.
وقدر أحد المسؤولين القياديين في المنطقة عدد الأطفال المجهولين النسب في إيطاليا بمليون طفل وهو ما يشكل نسبة 7% من مجموع الأحداث البالغ عددهم (13,5) مليون.
تايمز 13/9/1988

بأقلام القراء

حاجتنا إلى إعلام إسلامي هادف

من غير المعقول أن يتجاهل المسلمون وسائل الإعلام المختلفة الموجودة في العصر الحديث، وهـنـا كـان على الدعاة المسلمين أن يفكروا في خير الطرق لجعل وسائل الإعـلام الـحـديثة عوامل إصلاح، لا وسائل فساد ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بإيجاد إعلام إسلامي هادف يمنع شباب المسلمين من التأثر بما تحمله وسائل الإعلام الفاسدة من ألوان الإلحاد والانحلال.
إن الإعلام الإسلامي هو إعلام عقيدة ذو مـهـمـات متشـعبة ، ومسؤوليات كبرى ، وأعباء كثيرة وثقيلة تتوزع على دوائر وتمتد إلى آفاق بعيدة مترامـيـة الأطـراف ... إنه إعلام غير محدود ولا تنتهي رسالته في معركة يخوضها ، أو عند فكرة يذود عـنـها ، أو رأي يضمن له الذيوع والانتشار.
ومجـابـهـة التطورات التي تطرأ على ساحة الصراع العقائدي ، وفي ظل التقدم الحضاري الذين ترافـقـه أو تنبثق عنه تحولات فكرية وانحرافات حادة تعاني منها البشرية وتفرض على الإعلام الإسلامـي أن يـبـصّـر بـهـا مجتـمـع الـمسلمين ويحميه من شرورها وأخطارها باستمرار وهذا كله يتطلب من الإعلام

الإسلامي أن يـكون في مستوى ما هو مدعو للقيام به في وجه تحديات وقوى وخصومات قديمة ومتجددة.
إن المسلم مطالب بالإعلام والدعوة لدين الله مادام فيه نـفـس يـتـردد ، ولقد تجلت جهود المسلمين الأوائل في الإعلام بدين الله وتحمل المكائد والصعاب في سبيل ذلك وعدم التواني عن المجاهدة والمكابدة على الرغم من مؤامرات الأعداء ومناصبتهم العداء للإسلام والمسلمين وحسبنا أن نشير إلى سير الصحابة - رضوان الله عليهم - وما عانوه وما تكبدوه من مشاق في سبيل التبليغ بكل مراتب التبليغ والتبشير حتى تقدم موكب الإسلام الزاحف عبر الأراضي الشاسعة والبلدان الواسعة بما يشهد لهؤلاء الدعاة الأبطال.
إنهم كانوا إعلاميين ناجحين بل ودعاة مجاهدين لنشر الإسلام في ربوع العالم كله ، وأما اليوم فإن أولياء أمور المسلمين في مختلف الأقطار الإسلامية والعالمية مطالبون بأن يضعوا حداً للعبث ومظاهر الفساد في وسائل الاعلام بصورتها الحالية بأن يراقبوها ويمنعوها من إغراق المسلمين وأبنائهم بالتيارات الضالة المضللة وإشاعة الفساد والانحلال بينهم وخاصة الشباب.
عوض عبد الله بارحمة

الفكر المطلوب

من يظن أن على كل مسلم إدراك المفاهيم الإسلامية والنظرات الواقعية الإسلامية والنظرات الواقعية للمجتمع الإسلامي وأن يكون لديه تصور شامل لما يجب أن يكون عليه حال الأمة وأن يدرك المؤامرات التي تحاك ضدها والغزو الفكري الموجه نحوها.
يخطئ من يظن ذلك لأن المفاهيم ليست متناً أو مقرراً دراسياً يكفي حفظه أو تكفي مذاكرته فحسب.
إن الفكر الإسلامي - وأي فكر - يختلف مدى إدراك أتباعه كما يختلف هذا الإدراك من فرد لآخر وذلك حسب مرونة عقل هــذا الـفـرد ، وحسب قدرته على معرفة أسباب الداء واكتشاف الدواء له.

ومن ميزات هذا الدين استيعابه لجميع الطبقات الاجتماعية مهما كان مستواهم الفكري أو المادي أو قدراتهم ومواهبهم.
ندرك مما ذكر أن المطلوب من كل مسلم أن يدرك مـا هـو مـعـلـوم من الـدين بالضرورة وأن يدرك المفاهيم الأساسية لهذا الدين وأن يكون على حذر من الـمـفـاهـيـم الخاطئة أو الآراء المغلوطة ، وما سوى ذلك فحسب قدرته وموهبته وتخصص ، أما كيف يتـسـنـى لـه هـذا فذلك مبحث آخر.
نسأل الله التوفيق والسداد وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ناصر بن عبد العزيز آل عبد الكريم

خطوة في المسار الصحيح

هـنـاك قـصـور مـلـحـوظ في مـجـال العلم الشرعي يتفق عليه جل العاملين في حقل الدعوة الإسـلامـيـة، وهـو راجـع إلى أسـبـاب كـثيرة لا مجال للخوض في تفاصيلها، وأهمها عدم الاهتمام المتعمد، والإهمال المقصود لهذا الجانب من قبل الذين يمسكون بجانب التخطيط التربوي للأجيال الإسلامية.
وهذا القصور لا يستدرك - ولا يزال - عن طريق المحاضرات التي تعقد هـنـا وهـنـاك، وتخضع لاعتبارات أغلبها لا يقوم على أساس تزويد المسلم بالمعلومات المحددة والواضحة والأسـاسـيـة الـتـي يـبـنـون عليها فهمهم للواقع الذي يعيشون فيه. وإدراكاً من "المنتدى الإسلامي" لذلك، وحرصاً منه على تقديم النافع من العلم الشرعي في حدود الطاقة، ودون إنـفـاق الجـهـود في الشكوى والتذمر واقتراح الحلول الكثيرة التي يبقى أكثرها حبراً على ورق ! فقد عقد دورة مكثفة (ولمدة أسبوعين من 5/8/1988 إلى 19/8) للعلوم الـشـرعـيـة، ودعـا إلـيـهـا الراغبين من الإخوة الذين يديرون بعض الأنشطة الإسلامية في أوربا، وقدم المادة المدروسة بعض الأساتذة المختصين في علوم العقيدة، وأصول الفقه، وأصول الحديث، والتفسير ، واللغة العربية.

وقد أعطيت فكرة مكثفة عن بعض العلوم الإسلامية ومصطلحاتها ، وهي وإن لم تكن كافية إلا أنها تساعد على تأصيل الأفكار ، وإزالة الغموض عن بعض ما يشكل عند مطالعة كتب العلم الشرعي ، وقد أكد على الجانب العملى التطبيقي من هذه العلوم دون الخوض في دقائقها والتي لا تهم إلا المختصين والمتفرغين. بالإضافة إلى دروس تقويمية ألقت أضواءً على مسيرة الفكر الإسلامي الحديث ، والإضافات التي أضافها إلى الثقافة الإسلامية بشكل عام ، والتحديات التي لازالت تعترض مسيرة هذا الفكر ليأخذ دوره الصحيح في بناء شخصية المسلم الفكرية المتماسكة ، وقد تركت الدورة صدًى طيباً ومشجعاً في نفوس المشاركين يدعو إلى مواصلة السير إعداداً وتحسيناً.

تمت بحمد الله
